الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة 8 ماي 1945 قالمة
Ministère de L'enseignement Supérieur Et de la recherche scientifique
Université 8 Mai 1945 Guelma جـــامعة 8 مـــاي 1945 قالمة

langues des lettres et des Faculté كليّـة الآداب واللغـات
Département de langue et littérature arabe قسم اللغـــة والأدب العربي

محـــاضرات فـي الـتحـليـل الأنـثـروبـولـوجي لـلأدب

- موجّهة لـطلبة الـسنة الـثانـية ماستر- دراسات أدبـية-

إعـداد الـدكـتورة :

سهـام بـودروعة

الـموسم الـجامعي:2018- 2019

الـمادة: الـتّحـليـل الأنـثـروبـولـوجي لـلأدب

محتوى المادة:

	المادّة:التحليل الأنثروبولوجي للأدب	السداسي: الثالث	المعامل: 2	الرصيد:3
	مفردات المحاضرة			
01	مفهوم الأنثروبولوجيا			
02	نشأة الأنثروبولوجيا			
03	أقسام الأنثروبولوجيا (الأنثروبولوجيا الطبيعية.)			
04	الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.			
05	الانثروبولوجيا الدينية			
06	الأنثروبولوجيا الاقتصادية			
07	الأنثروبولوجيا السياسية			
08	الأنثروبولوجيا اللغوية			
09	علاقات الأنثروبولوجيا بالعلوم المختلفة			
10	علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب			
11	أنواع التحليل الأنثروبولوجي للأدب.			
12	تجليات الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في "سكرات نجمة" لأمل بوشارب			
13	تجليات الأنثروبولوجيا الدينية في الرواية			
14	التحليل الوظيفي البنائي			

مقدمـــــة:

مع دوران الأرض حول نفسها، في مسيرتها المخلصة حول كعبة الضّياء، يتعاقب علينا النّهار بصحوته وضياءه، واللّيل بسكونه وظلمته، فتهدأ الحواس المشحونة بلمسة من شرّ الظّلام وبنقص في القدرة على إدراك المثيرات البصرية التي عهدناها بالصّباح، فنقضي أمسية صافية لانرى فيها جديدا بأعيننا بقدر ما تسترجعه وتراه ذاكرتنا ، لاسيما ماتعلّق بتلك المحاورات المثيرة للجدل في المتراس الوجودي، والتي استحودت على منطقة التفكير ومنها قضية الإنسان وعلاقته بالكون، التي تستمر حبالها في حركتها الثعبانية تتداخل وتتعانق وتتشابك في توافق وانسجام شبيه بصلات حبات الرمل بالمحار، فالإنسان هو التيمة الأساسية لهذا الوجود.

وعلى الرّغم من أنّ هذا العالم كما يقرّ بذلك " روبرتو أونغر" " مستغلق نسبيا على العقل، متغيّر، و متخارج في معظم أحيانه على المنطق العام للأشياء، يبقى (بكلّ مافيه من جنون) العالم الوحيد الذي نمتلك سببا للاعتقاد بوجوده ومعقوليته، وبمحاولتنا الفرار منه، من المرجّح أن نجعل أنفسنا أصغر حجما لا أن نجعلها أكثر حرية."

فنظرة الإنسان إلى القادم يصنعها استغراقه في ملاحظة حركة الحاضر وتمفصلات الماضي، لأن الإنسان –كما يؤكّد سعيد بنكراد– "كائن رمزي بكلّ المعاني التي يمكن أن تحيل عليها كلمة رمز، فهو يختلف عن كلّ الموجودات الأخرى، من حيث قدرته على التخلص من المعطى المباشر وقدرته على الفعل فيه، وتحويله، وإعادة صياغته ، وفق غايات جديدة، ويختلف عنها أيضا من حيث قدرته على العيش مفصولا عن الواقع ضمن عوالم هي من نسج أحلامه وآلامه وآماله".

ليجد الأنثروبولوجيين أنفسهم أمام تساؤلات بنّاءة، ألحّت عليهم دائما بأن يضعوا لها إجابات،وحينما تعجز هذه الإجابة أن تولد بصورة طبيعية لايكون أمامهم إلّا إجراء لها

ولادة قيصرية سواء ب"شق الأنفس" أو حتّى من خلال تشريح الحقائق، على طاولة النقاش فقد بحثوا عن أبعد أسلاف الإنسان وعن طروادة هوميروس وعن الموطن الأصلي للهنود الأمريكيين وعن العلاقة بين نور الشمس السّاطع ولون البشرة وأرادوا معرفة كيف توصّل الإنسان إلى ذلك، وغيرها من المسائل المثيرة للجدل، وكان الأنثروبولوووجيين القدامى يعتقدون أنّهم معنيون بكلّ شيئ عن الإنسان.

هذا الكتاب محاولة أوّلية للتّعريف بالحقل الأنثروبولوجي مفهوما وتاريخا، حيث وضّحنا من خلاله معنى كلمة "أنثروبولوجيا"واستخداماتها المختلفة وكذلك تخصّصاتها المتعدّدة، وكذلك التحدّث عن بواكير الفكر الأنثروبولوجي، التي مكّن ردّها إلى العصور القديمة ، بالرّغم من أنّ الأنثروبولوجيين الغربيين يرون أنّ الأصول النّظرية الأولية قد ظهرت مع عصر النهضة الأوروبية.

الأنثروبولوجيا، هذا العلم الفتيّ الذي لايتعدّى عمره المائة وخمسين سنة، والحامل لمشروع علمي عريض هو علم الإنسان،عرف تطورا كبيرا، من حيث موضوع الدّراسة والمنهج وطبيعة السّؤال على مدى القرن العشرين، هذا مايفسر النظريات العديدة التي أنجبها أنثروبولوجيون أمريكيون وفرنسيون وبريطانيون ، والتي كان لها أثر كبير على العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى.

وعرضنا لأقسام الدّراسة الأنثروبولوجية وفروعها الرّئيسية ، لايسعنا إلا أن نقدّم صورة تقريبية مصحوبة ببعد زمني يلقي الضوء على تغيّر تلك الصّورة عبر الزمن، وقد جافينا البعض منها على غرار أنثروبولوجيا الفن والصّحة ،لأننا التزمنا بما هو مقرّر علينا تقديمه لطالب الماستير في سداسي واحد،وسلطنا الضّوء على الوشائج والاستشفافات التي تجمع الأنثروبولوجيا مع مختلف دوائر المعرفة الإنسانية.

إنّ مايقدمه هذا الكتاب ليس إلّا محاولة أولية ومتواضعة ، يجب أن تستكمل بمزيد من البحث والتحليل والمتابعة، عسى أن يكون عونا ودخرا لطلاب المعرفة والعلم ، ودلبلا للباحثين المتخصّصين في دراساتهم الحقلية والنظرية، وكا يقال :

" إذا أردت أن تزرع لسنة فازرع قمحا، وإذا أردت أن تزرع لعشر سنوات فازرع شجرة، أما إذا أردت أن تزرع لمئة سنة، فازرع إنسانا."

المحاضـــرة رقـــم (01).

مفهـــوم الأنثروبولوجيـــا

تمهيـــــــد:

لقد كان الإنسان أكثر شيء جدلا، وجهد الباحثون أنفسهم لسبر الكثير من أغواره، فهو موضع لتساؤلات قارة مازال الإنسان قاصرا على الإجابة عنها سيما ماتعلق بكينونته، إنه" الكائن الحيّ الوحيد المتبقّي من فصيلة الأناسي، فرع من قبيلة أشباه البشر، وهو العاقل الوحيد الذي يمتلك دماغا عالي التّطور متميّزا به عن باقي الحيوانات على الأرض،إذ إنّ الدّماغ يهبه القدرة على التفكير المجرد، واستخدام النطق والتفكير الذّاتي،وإعطاء حلول للمشكلات التي يواجهها، وهو يمتلك جسما منتصبا ذا أطراف مفصلية علوية سفلية سهلة التحريك، وتعمل بالتنسيق مع الدّماغ، هذه الميزة تجعل من الإنسان الكائن الحيّ الوحيد القادر على توظيف قدراته العقلية والجسمية لصناعة الأدوات التي يحتاجها، يؤمن المعتقدون بالدّيانات أنّ الله خلق الإنسان على الهيئة الحالية التي نعرفها، بينما تفترض نظرية التّطور أنّه تطور لحيوانات سابقة على وجوده."[1]

فهو حيوان ناطق، وفي تعريف فلسفي آخر هو الكون الجامع، باعتباره جامعا لجميع العوالم، وأنّ تلك العوالم تعتبر بمنزلة الظّل له، لاعتباره الغاية الأولى من كلّ تلك العوالم.

وإنّ البحث في مسائل الأناسة قديم قدم الإنسان،حيث درج العلماء والفلاسفة في كلّ مكان وزمان عبر التّاريخ الإنساني ، على وضع نظريات عن طبيعة المجتمعات البشرية، فأن نبحث كيف يتصرف الشّخص ويفكر وينفعل، وكيف تعمل الثّقافات وتنمو وتنقرض، وكيف تتقدّم مجتمعات على حساب مجتمعات أخرى، فكلّ ذلك يصبّ

[1] إسراء عيسى، مامعنى الإنسان، عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.Com/ بتاريخ 8 سبتمبر2016.

في هدف علمي حدّدت أطره الحضارة الغربية منذ ثلاث قرون خلت، وتأسيس علم الأنثربولوجيا لم يكن هو الآخر إلّا لهذا الغرض.

ولكي تستوعب الأنثروبولوجيا ماهية هذا الإنسان المعاصر المفارق للتّاريخ والخارج للتّو من مخاضات الحداثة لايكفي أن تعرف كيف تشكّلت الحياة الاجتماعية ،أو تفسّر الكيفية التي تشكّل من خلالها الأفراد مجتمعهم ودولتهم، بل عليها أن تؤوّل كيف انتهى الإنسان إلى ماهو عليه اليوم.

الإشكاليـــــة:

لكلّ معرفة علمية خطابها الذي يدلّ على مفاهيمها ويرسم حدودها الفاصلة عن بقية الدّوائر المعرفية الأخرى، فمفاتيح العلوم مصطلحاتها.

"يمكن فيما أعتقد أن تكون حضارة مزدهرة متألقة في أمة من الأمم ما لم تواكبها جنبا إلى جنب حضارة المصطلح العلمي الذي يكون بحدّ ذاته الإطار العام لفكر تلك الأمة وعقلانيتها، وتقدّمها الإنساني كي تتبلور لها عندئذ سمات الثقافة الحقّة في مضامير حياتها المتشعّبة ، لتصل في النّهاية إلى تحقيق غاياتها المثلى في النّظر والعمل معا لبناء صرحها الحضاري الشّامخ....فكلّما أحسّت الأمة الدّقة والرّؤية والعمق في تعريفاتها وتحديداتها ورسومها، بدت أكثر تألّقا ونضارة على غيرها من الأمم المعاصرة لها."[1]

فالمصطلح ضرورة علمية تسعى إلى ضبطها الأمم والثّقافات المختلفة، وعليه تستوجب دراسة أيّ ظاهرة الوقوف عند المصطلحات من أجل تحديدها وتوضيحها، لأن معرفة الظاهرة تقي الباحث شرّ التّهاوي وتجنّبه الكثير من الهفوات وتدفعه إلى السّير قدما.

وعيه **ماذا يعني مصطلح الأنثروبولوجيا؟ ماهو موضوعه؟ ولماذا نستخدم المصطلح الأجنبي؟**

[1] جعفر آل ياسين، الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص14.

أولا– ماهيــة المصطلــح واستخداماتــه:

إنّ أنْجع وأقرب طريقة لتوضيح معالم هذا المصطلح لدى المتلقي – بحسب أحد الأنتروبولوجيين الأمريكيين – هي تقديم فكره عمّا يفعله الأنثروبولوجيون حيث كتبت في هذا الصدد – الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية « ما رجريت ميد» *M. Mead* (1901 – 1979) «نحن نصف الخصائص الإنسانية ، البيولوجية ، والثّقافية، للنّوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن ، ونحلّل الصّفات البيولوجية والثقافية المحلية ، كأنساق مترابطة ومتغيّرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطوّرة ، كما نهتم بوصف وتحليل النّظم الاجتماعية ، والتكنولوجيا ونعني أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتّصالاته، وبصفة عامة، فتحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتفسير نتائج دراساتنا في إطار نظريات التطور، أومفهوم الوحدة النّفسية المشتركة بين البشر ، إنّ الشخصيات الأنثروبولوجية التي قد تتضارب مع بعضها، هي في ذاتها مبعث الحركة والتطور في هذا العلم الجديد. وهي التي تثير الانتباه وتعمل على الإبداع والتجديد.هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ جزءًا لابأس به من عمل الأنثروبولوجيين يوجّه نحو القضايا العملية في مجالات الصّحة و الإدارة والتنمية الاقتصادية ومجالات الحياة الأخرى »[1].

يمثّل هذا المقتطف التّصور العام للمصطلح عند الأنثروبولوجيين الأمريكيين ، و الذي يعني من منظورهم مدارسة الإنسان من الناحية الثقافية و الفيزيولوجية حيث يستخدم الأمريكيون مصطلح الأنثروبولوجية الجسمية الفيزيقية *Physical Anthropology* و الأنثروبولوجيا الثّقافية *Cultural Anthropology*

وقبل الخوض في أغوار هذا المصطلح ، حريّ بنا أن نعود إلى جذره ، فكلمة الأنثروبولوجيا تعني في اليونانية مايعنية مقطعها (الأنثروبوس:*Anthropo* الإنسان، ولوجوس: *Logos*:الكلمة أو الموضوع أو(علم) وتركيبها يقابل في اللغة العربية

[1]– المرجع السابق، ص23.

« علم الإنسان ».*Science de L'homme*[2].

وهو يحمل معنى «علم وصف الإنسان » واعتبرت كما لو أنها شعبة من الاثنولوجيا (علم السّلالات) باعتبار أنّ الإنسان سلالة ضمن السلسلة الحيوانية كما تركّز عليه الأنثروبولوجيا الفيزيولوجية التي تعتني بقياس الجسم البشري وفي غضون 1930 باتت لفظة الأنثروبولوجيا تطلق على مجموعة العلوم التي تدرس الإنسان،وعلى حدّ تعبير «ليفي شتراوس »البنيوي أصبحت العلم الذي يهيّئ علم الاجتماع للملاحظ وهي في نظره تطمح إلى معرفة الإنسان الكليّ المتأمّل فيه انطلاقا من إنتاجه أو من تصوّراته ، مهما تفرّعت إلى اجتماعية أو ثقافية أو إيكولوجية أو بيولوجية...إلخ، كما اكتسبت دلالة تفيد معنى دراسة الإنسان الملاحظ داخل السلسلة الحيوانيّة."[1]

فمصطلح الأنثروبولوجيا أكاديميا يعني دراسة الإنسان وتطوّره وتميّزه عن بقية الكائنات الحيّة، ويصبّ اهتمامه على المجتمعات البدائية كسلالات وأجناس وأعراق، فقد انبثق هذا العلم عن الثّورة الدّاروينيّة ، وقد تداخل مع معارف إنسانيّة عديدة، فهو ثري في دلالاته ومعانيه ومتحوّل بفعل كثافة توظيفه، وبالتّالي فقد كان مثار جدل بين الباحثين تبعا للمحدّدات المعرفية.

ولعل " فريديرك رواخ" *Friedrich Rauh* كان أوّل من استخدم الأنثروبولوجيا في كتابه (الأنثروبولوجيا: أونظرة في العقل البشري،) بمدلول مختلف عن المعاني السّابقة واللّاحقة به، غير أنّه يوائم رؤيتنا الحاليّة تماما، فقد كان ذلك في عام 1841، وقد

---

[2]– فريد يريك معتوق ، معجم العلوم الإجتماعية ، انجليزي ، فرنسي عربي ، أكاديميا بط ، ص 42 .

[1] - الزهرة إبراهيم، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية، وجوه الجسد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2009،ص13-16.

عرّفه:"الدّراسة العميقة للمؤثّرات الخارجية التي يخضع لها العقل البشريّ، وفهم التّغيّرات التي تتمّ بمقتضاها."[1]

ومن ثمّ توالت من بعده التّعريفات المتنوّعة، فقد كانت الفترة الممتدة منذ سنوات 1880 حتّى نهاية الحرب العالمية الأولى، مهمّة في تطوّر النّظرة إلى الأنثروبولوجيا ، وماهيتها وموضوعها، بما أنّها تشكّل حقبة مفصلية بين اللّحظة التي نشأ بها العلم تحت الرّاية التشوئية (التّطوّريّة) وبداية الفترة الكلاسيكية التي ظهر فيها جميع آبائها المؤسّسين (تايلور، بواس، مالينوفسكي، موس، كروبير، وكلاكهون....إلخ).

أما "إدوارد تايلور "، يعرف الأنثروبولوجيا فيقول:«هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، إذ يحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية»[2]. فهي تهتم بالمظاهر الثقافية والاجتماعية للإنسان وتبحث في العلاقة القائمة بين ثقافته والمجتمع الذي يعيش فيه وأيهما أشد تأثيرا في حياة الفرد هل الثقافة أم المجتمع؟

أمّا الشهيرة مرجريت ميد *Mead Margaret* [3](1901-1978) تقول:«نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية و الثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونُحلّل الصّفات البيولوجية والثقافية المحلّية كأنساق مترابطة ومتغيرة وذلك عن

طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النّظم الاجتماعية

[1] إيكه، هولتكرانس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، تر محمد الجوهري، حسن الشّامي، دار المعارف، القاهرة، 1972، ص49-51.

[2] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص 09.

[3] مارجريت ميد: أمريكية مختصة في علم الإنسان، اشتهرت بأبحاثها عن مدى تأثير الثقافة في نمو الشخصية، عملت أمينة لقسم علم الأعراق البشرية بالمتحف الأمريكي

والتكنولوجيا».[1] فهي قدّمت مفهوما واسعًا للأنثروبولوجيا، و اهتمّت بالإنسان من جانب بيولوجي شكلي مثل الجسد واختلاف البنية الجسدية من شعب لآخر ومن جنس لآخر،حيث نجد الإنسان الحالي يختلف كثيرا عن الإنسان البدائي وجسم المرأة أيضا يختلف عن جسم الرجل الذي يمتاز بالصّلابة والقوة عكس جسم المرأة الذي يتميز بالضّعف واللّين ،فهي تهتم أيضا بلون البشرة وشكل الشعر ولونه، كما تهتم بالأمراض مثل نقص المناعة وظاهرة السمنة وهل هي وراثية أم مكتسبة؟

تشير بعض الدّراسات أنّ زواج الأقارب يؤدّي إلى ظهور أمراض وراثية التي قد تكون مختفية عند الآباء.أمّا الأنساق الثقافية فتتمثل في العادات والتقاليد التي يتميز بها إنسان في مجتمع ماعن إنسان آخر يعيش في مجتمع مغاير، أمّا المضامين الاجتماعية تتمثل في الحسد والغيرة والأنانية والقرابة والنرجسية والسادية (حب تعذيب الذات). أمّا في قولها عبر أزمان مختلفة وسائر الأماكن أي تدرس الفروق بين الإنسان المعاصر والإنسان البدائي، تهتم بدراسة الفكر البدائي من خلال الأساطير والحكايات الخرافية مثلا.وتدرس التعصب القلبي والتشدّد للرأي.

وتجري هذه الدّراسة والتّحليل وفق مناهج متطوّرة وتقنيات حديثة مثل دراسة الآثار، فعالم الآثار عند دراسته لجمجمة إنسان بدائي مثلا أو إحدى الرّسومات البدائية يعتمد تقنيات وآلات حديثة معتمدا على منهج حديث معاصر.

أمّا مارك أوجبيه *Marc Augé*،[(2)] «حين نقول أنثروبولوجيا فإننا نعني بها ما له علاقة بالتنوع المعاصر في الثقافات الإنسانية لهذا القبول حسنته إذ أنه يشير إلى أكبر

---

[1] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1978م، ص 13، 14

[2]– مارك أوجيه: عالم أنثروبولوجيا فرنسي، حاصل على دكتوراه آداب وعلوم إنسانية، نشر عدّة أعمال منها، أنثروبولوجياالعوالم المعاصرة، 1984م

قدر من الموضوعية باستبعاد فكرة مجال مغلق مؤلف من مجتمعات بدائية متقوقعة في تاريخ جامد»[1].

والمميز هنا هو إخراجه للأنثروبولوجيا من مجال ضيق وهو دراسة الشعوب البدائية إلى الإهتمام بالقضايا الفكرية والثقافية للإنسان المعاصر بعيدا عن الإثنيات فهو حاول الفصل بين الإثنولوجيا التي تهتم بوصف الشعوب البدائية والأنثروبولوجيا التي تهتم بدراسة الإنسان عبر العصور وفي شتى المجالات.

أمّا في أوروبا ، فإنّ الوضع يختلف تماما حتّى من بلد أوروبي إلى آخر، بسبب اختلاف المصالح القوميّة للدّول الأوروبية من جهة وكذلك تباين الخلفيات الثّقافية من جهة أخرى، ولايزال استخدام كلمة الأنثروبولوجيا بمعنى" دراسة التّاريخ الطّبيعي للإنسان" منتشرا في أوروبا.

وفي هذا الصّدد يذكر الباحث الفرنسي" لويس جان بواريه" *Louis Marie Poiret* أنّها ظهرت أولا في كتابات علماء الطذبيعة إبان القرن الثذامن عشر، لتعني دراسة التّاريخ ، الطّبيعي للإنسان – وحسبها– يعدّ " جوهان بلومينياخ" *Johan Blumeni* [2] أوّل من أدخل كلمة " الأنثروبولوجيا" في منهج تدريس التّاريخ الطّبيعي بالمقرّرات الجامعية، كما استخدمه في الطّبعة الثّالثة من كتابه الذي صدر عام 1795، بعنوان" عن التّنوعات الطّبيعية الجوهريّة بين البشر"، ويذكر " بواريه" أيضا أنّ الفيلسوف الألماني" إيمانويل كانط *Immanuel Kant* أشاع استخدام هذا المصطلح خاصّة بعد صدور كتابه" الأنثروبولوجيا من منظور علمي"، ومع أنّ إسهام "كانط" في دراسات التّاريخ الطّبيعي

[1]– مارك أوجيه وجان بوكولاين، الأنثروبولوجيا، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص **14.**

[2] يوهان بلومينياخ:المؤسس الأول للأنثروبولوجيا الطبيعية، فهو من الرواد في دراسة الجماجم...

للإنسان كان محدودا للغاية، إلا أنّه كان مهتما بقراءة مدوّنات الرّحالة، كما أنّه درس موضوع تصنيف السّلالات البشرية.

إنّ مايدرجه الأمريكيون تحت عبارة "الأنثروبولوجيا الثّقافية"يصطلح الفرنسيون على الإشارة إليه ب" الأثنولوجيا" أو" الأثنوغرافيا" وهم يدرسونها تحت مظلّة علم الاجتماع. أمّا الانجليز، فقد انتخبوا تسمية أخرى وهي" الأنثروبولوجيا الاجتماعية" ،ونظروا إليها باعتبارها علما قائما بذاته، لايدرج تحت أيّ من الأركيولوجيا أو اللّغويّات مثلا.

وإذا نظرنا إلى استخدام كلمة "أنثروبولوجيا" في ألمانيا مثلا نجد أنّها تستخدم للإشارة إلى" علم الشّعوب"، غير أنّ الاتجاهات تتعدّد في المدارس الألمانية الأثنولوجيّة[1]، هناك اهتمامات بالنّواحي النّظرية الفلسفية، وهناك أيضا اهتمامات بالنّواحي المادية في الثّقافات الإنسانية، وقد برز مؤخّرا اتّجاه جديد نحو الدّراسات الميدانية. بينما في الاتّحاد السوفييتي، ومعه معظم بلاد شرق أوروبا ، نجد أنّ مصطلح "الأثنوجرافيا *Ethnography* يشيع استخدامه، ومن أهم مجالات الأثنوجرافيا لديهم دراسة التّنظيم الاجتماعي للمجتمعات البدائية وخاصة فيما يتعلّق بالتّحولات التي تحدث في تلك المجتمعات عند تحولها إلى دول جديدة- ومايتبعه من بروز للطّبقات الاجتماعية.

---

[1] الأثنولوجيا:" شعوب وثقافات افريقية" و" اثنولوجيا أو شينيا" و" هنود أمريكيا الشمالية" وعدد من الموضوعات المتشابهة تصوّر اهتمام الانثروبولوجيا الثقافية بأنواع لاتحصى من السلوك البشري التي وجدت على وجه الكرة الأرضية، من هذا المدى الذي يشمل العالم جميعا في الثقافات والشعوب يبحث علماء الأنثروبولوجيا عن أوجه التشابه والاختلاف التي تقدّم مفاتيح لفهم الطبيعة البشرية، وتاريخ الثقافة البشرية. إنّ الموضوعات التي يقدمها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية مقارنتهم المنهجية وبحوثهم النّظرية تتخذ عنوانات متنوعة مثل " علم الاقتصاد المقارن" و" الدّين المقارن" والتغير الثقافي" و" القانون البدائي والحكومة" و" البنية الاجتماعية" وهلّم جرا....وكلّما انشغل عالم الأنثروبولوجيا في وصف صريح، مباشر للأنماط الثقافية في مجتمع معيّن فإنّه يكون معنيّا ب" الاثنوغرافيا" "ينظر إلى علي مولا، دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، تر كاظم سعد الدّين ، بيت الحكمة، بغداد، العراق،ط1 ،2010، ص21.

علاوة عن ذلك، يولي الأثنوجرافيون السوفيت بدراسة المشاكل المتّصلة بالجماعات العربية، والمشاعر القومية للأقلّيات، كما يهتمون بطبيعة الحال، بدراسة تطوّر المجتمعات الإنسانية في إطار النذظرية الماركسية ونتائج الثّورة البلشفية التي حدثت في عام 1917.

أمّا في العالم العربي، فالأمر لا يختلف كثيرا عن الدّول الأوروبية، بل يتجاوزه إلى التّفنن في خلق مصطلحات جديدة، فبالعودة إلى لفظة "الأنثروبولوجيا" وبحث مايقابلها في اللّغة العربية نجد أنّها ترجمت إلى النّياسة والإناسة والناسوت، تارة بدون وضع فيصل بينهم، وتارة أخرى بالتّفريق بينهم.

***النّياسة**: وهي ترجمة لكلمة إثنولوجيا،واعتمدت كلمة النّياسة لتحاشي كلمة البدائية وتوظّف للدّلالة على دراسة المجتمعات ماقبل الكتابة، تهتم كحقل معرفي حسب "مارسيل غريول" بنشاطات الشّعوب في كلّ جوانبها وتستعمل بهذه الدّلالات في فرنسا خاصة.

***الإناسة**: كلمة تستعمل بنفس دلالة النياسة إلا أنّها أحيانا توظّف للدلالة على العلم بالجسد وفروقاته بين بني البشر،(الإناسة الجسدية) لتختص كلمة النّياسة في بعض الدّراسات بعلم الأعراف.

***والنّاسوت**: هي تحمل معنى من معاني كلمة "الاثنوغرافيا" وتعني قوم أوناس أو إثنية... إلخ وتعني وصف، أي أنّ الكلمة تعني في تركيبها وصف النّياسة أي وصف جماعة، نظام زواج، نظام تربوي، عبادة، وتدلّ على اهتمام الباحث تحديدا بمرحلة جمع المعلومات ووصفها من العيّات في البحوث الميدانية والمعاينة المباشرة، وهو مايطلق عليه في الثّقافة الإنجليزية" فيلدوورك" " النياسة البنيانية." [1]

[1] ينظر إلى: جاك لومبار، مدخل إلى الاثنولوجيا، ت،حسين قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنات، ط1، 1997،ص9-21.

لقد انتشر في بلاد الشام مصطلح علم الإنسان، وفي مصر الأنثروبولوجيا وفي المغرب العربي علم الإناسة، ولكن – في اعتقادي- أنّنا حينما نستخدم الكلمة العربية المقابلة "علم الإنسان" للمصطلح الأجنبي فإنّنا نحدث نوعا من اللّبس بين ماتعنيه الأنثربولوجيا وتهتم به، وبين ماتدرّسه العلوم الأخرى التي تدرس الإنسان.

ثانيا- المحاور الرئيسية التي ترتكز عليها الدّراسات الأنثروبولوجية:

حدّد الدّارسون ثلاثة محاور أساسية ترتكز عليها الدّراسات الأنثروبولوجيا بصفة عامة، وتطوّرت في إطارها، وتتخصّص فيها أكثر من أي علم من العلوم الإنسانية المتقاطعة معها، وهي:

- "المحور العلائقي بين الثّقافة والبيولوجيا .
- المحور الثّاني العلاقة بين الماضي والحاضر في تطوّر سلوك الإنسان عبر الحقب التّاريخية والجغرافية المختلفة.
- المحور الثالث ويبحث وحدة النّوع البشري وتنوّعه عبر تغيّره من حيث الصّفات البيولوجيّة والثّقافية للأفراد والجماعات."[1] وعنها تفرّعت الأنثروبولوجيا إلى أنثروبولوجيا فيزيقية وأنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية- كما سيأتي بيان ذلك في المحاضرات القادمة- ولذلك لم تبق الأنثروبولوجيا كعلم على أصل واحد، بل تعدّدت أوجهه وتشاكلت مع فروع أكاديمية ." لتشكّل الأنثروبولوجيا ، في نهاية الأمر- منهجا يسعى إلى تجميع المعرفة بالإنسان من كافة الجوانب، وذلك بهدف تقديم فهم متكامل ومترابط عن الإنسان وحياته، ونتاجه الحضاري في الماضي والحاضر، ومن ثمّ يكون لديها القدرة أيضا على استقرا أنماط الحياة المستقبلية."[2]

---

[1] بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان، قراءة في علوم الإنسان الحديثة ومقدّمات البديل، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،2016 ، ص39.

[2] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة ،98، فبراير 1986، ص18.

وبالتالي فمصطلح "الأنثروبولوجيا" مصطلح شامل وواسع. فهو علم الإنسان وأعماله وسلوكاته بوصفه كائناً اجتماعيا وحضاريا له عادات وتقاليد وطقوس وممارسات دينية خاصة،تختلف من جماعة بشرية إلى أخرى.

ثالثـــا:أهـــداف دراســـة الأنثروبولوجيـــا:

استنادا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها ، فإنّ دراستها تحقّق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في الأمور التالية:

* وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أوالجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ مايقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم في الحياة اليومية.

* تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان، (بدائي، زراعي، صناعي، معرفي، تكنولوجي).

* تحديد أصول التغيّير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية، وذلك بالرّجوع إلى التّراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.

* استنتاج المؤشّرات والتوقّعات لاتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية والحضارية التي تتم دراستها، وتصور إمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.[1]

[1] **مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها وأهدافها** lina.forumouf.com/t1029-topic

الخاتمـــة:

* يعدّ علم الإنسان من أكثر العلوم حداثة وشمولا وطموحا إلى معرفة الذّات الإنسانية، حيث يهتم بدراسة الجنس البشري ويركّز على مكوناته وملامحه الخارجية ومجتمعاته ووسائل الاتصال فيما بينها، وكلّ ماينتجونه سواء كان مادة أو علاقة اجتماعية أو فكر، فالإنسان هو أساس الحياة.

* تساعد البدايات دائما على فهم الواقع، وهذا التّركيز على الإنتاج (المادي/ الفكري) للإنسان البدائي ليس شغفا وإنّما لأنّها تشكّل مجتمعات غريبة تعيش الفطرة ، تعيش الواقع الذي لم يعد له وجود، وكانوا دائما يقارنون بين مجتمعاتهم وتلك المجتمعات لإثبات مدى نقاء العنصر الأوروبي.

* انشغلوا بالتّأريخ وأدّى بهم إلى الكثير من الأخطاء، والدّراسات التي أجراها علماء الأنثروبولوجيا للأوائل أظهرت جوانب لم تظهرها علوم إنسانية أخرى، كذلك فإنّ تراكم المعرفة- كما قلنا- وزيادة عدد الأنثروبولوجيين ،قد أدّى إلى تجّمع الدّراسات الأنثروبولوجية في شكل مجموعات متشابهة.

المحاضـــرة رقـم (02)

نشـأة الأنثروبولوجيـا

تمهيـد:

الأنثروبولوجيا ، هذا العلم الفتيّ الذي لايتعدّى عمره المائة وخمسين سنة، والحامل لمشروع علمي عريض هو علم الإنسان عرف تطورا كبيرا، من حيث موضوع الدّراسة والمنهج وطبيعة السّؤال، على مدى القرن العشرين،.وعليه كيف ظهرت الأنثروبولوجيا كعلم قائم الذات وكتخصص أكاديمي؟ هل يوجد في القديم علم اسمه الأنثروبولوجيا؟ هل الأنثروبولوجيا وليدة القرن التاسع عشر؟ أم أنها حصيلة تراكم معرفي حتّم الشرط التاريخي اكتمال معالمه وقيامه كفرع معرفي جديد في القرن التاسع عشر؟ وماهي أبرز الاتجاهات النظرية داخل حقل الأنثروبولوجيا؟

أولا: أهم المسارات التّاريخية لعلم الانثروبولوجيا:

تعود نشأة علم الإنسان بوصفه أنثروبولوجيا إلى سيرورة وتاريخية الإنسان الإجابة عن سؤال جوهري : ماهو الإنسان؟ وهو سؤال طالما واجهه منذ الأزل، وتصدّى له الإنسان الباحث والعادي بكلّ وسائله المعرفية المتاحة. فـ" لم يكن ماركو بولو ولا ابن بطوطة ولاغيرهم من الرّحالة الأوائل يعلمون أنّ ملاحظاتهم الميدانية عن الشّعوب والأجناس البشرية التي زاروا بلدانهم ستكون نواة لعلم جديد بعد خمسة أو ستة قرون. وفي منتصف القرن التّاسع عشر، وحين بدأت خيوط علم الإنسان تشكّل نسيجا متميّزا ، كان الأنثربولوجيون القدامى يعتقدون أنّهم معنيون بكلّ شيء عن الإنسان."[1]

[1] بيرتي،ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، تر كاظم سعد الدّين، بيت الحكمة، بغداد، العراق،ط1، 2010، ص09.

غير أنّ قراءة سريعة للسّجل الأنثروبولوجي على مدى أكثر من قرن من الزّمان توضّح لنا عدد مسار هذا العلم الذي يمثّل أحدث حلقة في سلسلة العلوم الاجتماعية على الإطلاق. ورغم حداثة هذا العلم الذي لم يتبلور كدراسة لها قواعد وأسس منهجية ثابتة إلّا في حدود أواخر القرن التاسع عشر، ومع ذلك نجد العديد من الباحثين والمهتمين من علماء ورحّالة عبر التاريخ ممن كانوا يهتمون بالإنسان في هيئته وعاداته وتقاليده وطرق عيشه وتواصله مع الشعوب الأخرى، راصدين أهم الفروقات على مرّ العصور والحقب. ومن أهم من مهّد للأنثروبولوجيا ونظّرلها نجد "هيرودوتس" *Heredatus*(05ق.م) و"هوميروس" *Homers*(08 ق.م) وابن بطوطة وابن خلدون (1322- 1406 م)، وغيرهم وقد مرّت نشأة الأنثروبولوجيا بعدّة مراحل.

وقد اعتمدنا على تقسيم الباحث "عيسى الشماس"[1]، حيث يتميز تقسيمه بالدّقة والوضوح ويتجلى ذلك في ما يلي:

1– العصر القديم :

* عند الإغريق اليونانيين القدماء
* عند الرومان .
* عند الصنين القدماء .

2 – العصور الوسطى:

* العصور الوسطى في أوروبا
* العصور الوسطى عند العرب
* عصر النهضة الأوروبية.

1– في العصر القديم: الأنثروبولوجيا في العصر القديم أو ما يطلق عليه بالشعوب البدائية ،حيث نجد أنّ أقدم رحلة خاضها الإنسان ودوّنها تعود إلى «الرحلة التي قام بها المصريون القدامى حوالي سنة (1493ق.م) من موطنهم الأصلي إلى بلاد "بونت" أو "الصومال" حاليا لأهداف تجارية تتمثل في مبادلة سلعهم مع الشعوب الأخرى على متن خمس مراكب على متن كل واحد منها(31) راكبا، وذلك بهدف

[1]– عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق، ص 19.

تسويق بضائعهم النفيسة التي شملت البخور والعطور ونتج عن هاته الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام إفريقيا، وتأكيدا لإقامة علاقات معهم فيما بعد فقد صوّرت النقوش في معبد الدير البحري»[1]. فهذه الرحلة كانت بهدف التجارة ، إلا أنّ احتكاك المصريين القدماء بأقزام إفريقيا والاتصال فيما بينهم أدّى نوعا ما إلى امتزاج الحضارات حيث تجلّى لكلّ منهما الفروق سواء من ناحية اللّباس أو العادات والتقاليد ،فجسّدوا ذلك في النقوش الموجودة في المعابد أو المقابر وهذا دليل على التأثر والتأثير الذي نتج عن امتزاج حضارتين مختلفتين والانبهار بالآخر وحضاراته وثقافاته وعاداته المختلفة والانفتاح عليها.

أ- عند الإغريق (اليونانيين القدماء): من أشهر رحالة هذا العصر نجد هيرودوتس"*Herodotus*"[2](05ق.م) كان مولعا بالأسفار حيث «سجّل عددا كبيرا من الرّحلات والأسفار إلى مناطق عبر أوروبا ودوّن عادات شعوبها وتقاليدها وممارساتهم سواء ما قام به هو نفسه أو ما جمعه عن غيره ووصل عدد هذه الشعوب حوالي خمسين شعبا وأكثر، فقد وصف ملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية من ذلك مثلا وصفه لمصر وأحوال شعبها وقال مقولته الشهيرة "مصر هيبة النيل"، فقد قارن بين الشعوب الأوروبية ومصر مثلا»[3]. حيث قارن بين المصريين وسكان أوروبا من حيث الملامح الجسمية الشكلية والاختلاف في البنية ولون الشعر والبشرة والقامة وهذا ما يطلق عليه حديثا بالأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية.

---

[1]- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق، ص 20.

[2]- هيوردوس، مؤرخ إغريقي عاش في القرن 5 قبل الميلاد، اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكان عدّة زارها حول العالم، المعروف آنذاك وأُناس قابلهم في رحلاته وكتبه العديدة عن السيطرة الفارسية على اليونان.

[3]- خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، (د.ط)، 2014-2015، ص 15.

كما قال في عادات المصريين القدماء «إنّه في غير المصريين يطلق كهنة الآلهة شعورهم أمّا في مصر فيحلقونها ويقضي العرف عند سائر الشعوب بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم أثناء الحداد ولكن المصريين أن نزلت بساحاتهم محنة الموت فإنهم يطلقون شعر الرأس واللّحية»[1].

كما يقول في مقارنته بين بعض العادات الإغريقية والليبية «يبدو أن ثوب أثينا ودرعها وتماثيلها نقلها الإغريق عن النساء اللّيبيات غير أن لباس اللّيبيات جلدي وأن عذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين بل هي مصنوعة من جلد الحيوان [...]ومن اللّيبيين تعلّم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة»[2]. ومن خلال القولين السابقين(2)-(3) نجد أنه قارن بين العديد من الشعوب من حيث عاداتهم وتقاليدهم ولباسهم ومدى قوة التأثير والتأثر بين الشعوب المختلفة من حيث اللّغة والدّين والعوامل البيئية والجغرافية واستفادة كلّ شعب من حضارة وثقافة الشّعب الآخر وهو ما يوافق حديثا الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

و نجد في هذا العصر أيضا أرسطو(384-322 ق.م)«الذي انغمس في تأمّلات رفيعة المستوى حول الطّبيعة الإنسانية وناقش في أنثروبولوجيته الفلسفية الفروق بين النّاس على وجه العموم والحيوانات، فإنّ الإنسان فقط هو الذي يملك العقل والحكمة والأخلاق، كما جادل أرسطو كذلك في أنّ البشر اجتماعيون من حيث الجوهر بطبيعتهم»[3].

---

[1]- المرجع السابق، ص15.

[2]- المرجع نفسه، ص 16.

[3]- توماس هايلاند إيركسون وفين سفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، ت: أ، د لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2013م، ص 14.

فأرسطو اهتم بالفروق الظاهرة بين الناس بصفة عامة وكذلك الفروق بين الإنسان والحيوان، فوجد أنّ الإنسان يتميز بالعقل والتفكير والتّأمل والبحث ،في حين نجد الحيوان يفتقد لهذه الصفات، وبفضل نزعته الفلسفية استطاع "أرسطو" أن يوجّه الفكر نحو دراسة النظم الإنسانية من الناحية البيولوجية والاجتماعية.

ب– عند الرومان: بقيت هذه الحضارة حوالي ستة قرون «حيث تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونان من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الإنسانية وطبيعتها وتفسير التباين والاختلاف فيما بينها[...] ووجّهوا دراستهم نحو الواقع الملموس والمحسوس»[1]. فالرومان اهتموا بالجانب المادي العسكري والحربي لذلك لم يتم تدوينها، ويستثني من ذلك إشعار «"تيتوس لوكريتوس كاروس" "*Titus Lucritus Carlus*"حيث تناول في البيت السّادس تطور الإنسان وفكرة العقد الاجتماعي ونظام الملكية ونشأة اللغة ومعالجة موضوع العادات والفنون والأزياء»[2]، فهو اهتم بالإنسان من حيث اللغة والعادات والفنون والأزياء وكلّ هذه المضامين يمكن أن نطلق عليها الدراسة الأنثروبولوجية.

ومنه يمكن القول أنّ الرومان مثلهم مثل اليونانيين فرغم بساطة التفكير لديهم وعدم رقيهم إلا أنهم اهتموا بالإنسان وتطوّره وتوجّهوا نحو تقسيم الشّعوب وتصنيفه.

ج– عند الصّينيين القدماء: شعور الصّينيين القدامى بأفضليتهم وتفوقهم عن غيرهم بعث فيهم الرّاحة والطمأنينة «كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل حدود بلادهم وكانوا مكتفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أنّ تجارتهم الخارجية انحصرت فقط في تبادل السلع و المنافع من دون أن يكون لها تأثيرات ثقافية عميقة»[3].

---

[1]– حسين فيهم، قصة الأنثروبولوجية، مرجع سابق، ص 47.

[2]– المرجع نفسه، ص 48.

[3]– عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق، ص 23.

فلم يهتم الصّينيون القدامى بالشّعوب الأخرى ولا بحضاراتهم فهم يعتقدون أنهم أفضل الخلق «لذا امتنعوا من الاحتكاك بالحضارات الأخرى و أقاموا لأنفسهم "سور الصّين"العظيم كي لا يدنّس الآخرون ترابهم واكتفوا ببعض التبادلات التجارية»[1]،

ومنه نجد أنّ الدّراسات الأنثروبولوجية شبه منعدمة عند الصينيين القدماء وإن وجدت فهي تتسم بالازدراء والاحتقار للشّعوب الأخرى.

2- في العصور الوسطى: تمتد هذه الفترة ما بين القرن الرابع إلى الرابع عشر ميلادي تتراوح من نهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية (ق 476/5م) حتى بداية الكشوفات الجغرافية الأوروبية وعودة النزعة الإنسانية وحركة الإصلاح الديني، وهي ما يطلق عليه بعصور الظلام في الحضارة الأوروبية. في حين يقابل هذه الفترة ازدهار الحضارة الإسلامية وتقدمها وتطورها-عصر التطور والرقي-

أ- العصور الوسطى في أوروبا: سيطرة الكنيسة في هذه الفترة أدّى إلى تدهور التفكير وعرفت هذه الحقبة بالعصور الوسطى فأصبحت الحياة العامة جدّ متدهورة وانتشر الظلم والقتل والجهل ورغم كلّ هذا نجد بعض الدّراسات والكتابات عن بعض الشّعوب ومن بين هذه الكتابات نذكر:

«الموسوعة التي كتبها الأسقف إسيدور *Isidore*(560-636م): وصف فيها عادات وتقاليد عدّة شعوب بطريقة جدّ عفوية وإن كانت متحيزة وسطحية ليصل إلى نتيجة تتمثل في أنذ الانحطاط يقاس بمدى ابتعاد الشعوب عن "المركز" والذي يقع في أوروبا فكلّما ابتعدت هذه الشعوب عنها كانت أكثر تدهورا وتخلفا»[2].

---

[1]- خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 18.

[2]- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، ، ص23.

«الموسوعة التي كتبها الفرنسي باتولو ماكوسل *Batholo Macus*: لقد عرفت انتشار شعبيا وروجًا كبيرًا لكن محتواها لا يختلف كثيرا عن سابقتها في الاعتماد على التصورات الخيالية»[1]. فالمحاولات الموجودة في هذه الفترة كانت بسيطة تعتمد على التخيّل دون المعايشة.

كما «اتجه المفكّرون خلال تلك العصور إلى تقديم تفسيرات قائمة على الانحياز العنصري والديني وساد ما يشار إليه بنظرية الارتداد أو الإنتكاس الحضاري *Culturaldege* والتي تذهب إلى أنّ بعض السّلالات وخاصة بعض الشعوب غير الغربية قد تدهورت من الحالة المثلى التي خلق الله الإنسان عليها إلى حالة أو مستوى حضاري أدنى أوأحط بكثير من مجتمعات غرب أوروبا وذلك بسبب ما قاموا به من أفعال شريرة»[2]. وهو ما يؤكّد على غياب الموضوعية أثناء دراسة الشّعوب الأخرى حيث طغت الذاتية والتحيّز على جلّ الدّراسات في هذا العصر فكانت دراسات سطحية تفتقد إلى الموضوعية وتعتمد على الوصف.

ب– العصور الوسطى عند العرب: بينما كانت أوروبا تعيش ما يطلق عليه بالعصور المظلمة،ازدهرت الحضارة الإسلامية حيث انتشر الإسلام خاصة بعد فتح مكة عام7هـ/632م، وسنستعرض أهم الأعمال ذات الصّلة بالأنثروبولوجيا في ما يلي[3]:

* معجم البلدان لشهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (626-574هـ).

* أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني(362-440هـ) في وصف العمران والأقاليم في كتابه "تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" والذي صوّر فيه المجتمع

---

[1]– خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 21.

[2]– حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص **43.**

[3]– خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 21، 22.

الهندي بكلّ أبعاده خاصة ما يتعلق بديانته وعاداته وتقاليده ومختلف الأنماط الثقافية والّنظم الاجتماعية السّائدة فيه متوصلا إلى أنّ الدين أو المعتقدات تشكّل أكبر معيق لتطور هذا المجتمع، وأكبر موجه لسلوكات الأفراد والجماعات فيه وهو عمل يعكس حالة من التقدّم في الفهم الأنثروبولوجي وممارسة المنهج الأثوغرافي إلى درجة بعيدة.

* رحلة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأصفار" التي تميزت بالطابع الأنثربولوجي واهتمام صاحبها بالشّعوب في حياتها اليومية وأنماط الشخصيات السائدة فيها وسلوكياتهم وقيمهم وعاداتهم، حيث يقول" ابن بطوطة" في "حكاية الرقص على النار": «كنت مرّة بموضع "افقانبور" [...]ووصل إلى هناك جماعة من الفقراء في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم رجل أسود حالك اللّون وهم من الطائفة الحيدرية (طائفة صوفية تنسب إلى المؤسّس قطب الدّين حيدر)وطلب مني كبيرهم أن أتيه بالحطب ليوقده عند رقصهم فكلّفت والي تلك الجهة وهو عزيز المعروف بالخمار أن يأتي بالحطب فوجه منه نحو عشرة أحمال فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جمرا وأخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار فمازالوا يتمرغون ويرقصون فيها حتى طفت تلك النار»[1].

قدّم "ابن بطوطة" وصف لهذه الجماعة وهي فقيرة وصف كبيرهم رجل أسود تحدث عن عاداتهم وهي الرقص على النار وكذا توحي عبارة كبيرهم إلى أنّهم كانوا عبارة عن قبيلة ما.كما لم يهمل الجانب الدّيني، فصرّح بأنها طائفة صوفية تنسب إلى "قطب الدّين حيدر" وكلّها تدخل ضمن الأنثروبولوجيا التي تهتم بعادات الشعوب وتقاليدهم ودياناتهم وثقافاتهم.

---

[1]– شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الوهاب التازي، الرباط، المملكة المغربية، 1997م، مج2، ص 10.

- مقدمة ابن خلدون وهي جزء من كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».

وقد قسم ابن خلدون مقدمته إلى ستة فصول[1]:

– «الفصل الأول:في قسط العمران من الأرض وما فيها من الأقاليم وتأثير الهواء في ألوان البشر وأخلاقهم واختلاف أحوال من الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم.

– الفصل الثاني:في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من المباحث في طبيعة البداوة والحضارة والفرق بينهما من حيث الأنساب والعصبية والرياسة والحسب والملك والسياسة.

– الفصل الثالث:في الدّول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وأسباب السيادة وتشييد الدول وكيف تُحفظ الإمارة وشروط السلطة والخلافة وطبائع الملك ومعنى البيعة وولاية العهد.

– الفصل الرابع:في البلدان والأمصار وسائر العمران والمدن والهياكل ونسبتها إلى الدول وما تجب مراعاته في وضعها من حيث البر والبحر.

– الفصل الخامس:في المعاش ووجوه من الكسب والصناعات [...]كالزراعة والعمارة والنسيج والتوليد والطب والوراقة والغناء وغيره.

– الفصل السادس:في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه ونسبة التعليم إلى الحضارة والكلام في كل علم على حدةوتاريخه وشروطه».

---

[1]– عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 05.

حيث اهتم "ابن خلدون" بمجتمعات شمال إفريقيا فهو أوّل من مهّد لنظريات جديدة مثل علاقة البيئة بالظواهر الإجتماعية وأمزجة البشر الجسدية والنفسية ومن خلال ما سبق نجد أن اهتماماته تتجسد في:

- علاقة البيئة بالعادات و التقاليد.
- البيئة وأثرها على الجسم من لون وقوة وضعف.
- تطور الأمم من البداوة إلى الحضارة.
- طرق كسب الرزق لدى العديد من الشعوب.
- تطرق إلى العمران والثقافة والعلوم المتنوعة من فقه وتاريخ وعلم النفس وعلم النجوم والعلوم السحرية والعلوم الطبيعية والطبية وهي كلّها مضامين أنثروبولوجية ساهمت في توفير مادة أنثروبولوجية حول الأنماط المعيشية والثقافية لعدد من الشّعوب، وبالتالي فقد ساهم "ابن خلدون" بمعالجة العديد من المظاهرالاجتماعية والثقافية والدينية التي تدخل ضمن الدّراسات الأنثروبولوجية.

3- في عصر النهضة الأوروبية: الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية أو ما يطلق عليه بعصر الاكتشاف ،حيث فتح في هذا العصر (ق.15م) «سلسلة من التطورات المهمة الطريق إضافات واسعة إلى معرفة الإنسان حيث قام رحالة برتغاليون وأسبان وغيرهم بمغامرة في المحيطات المجهولة آنذاك حتى وصلوا العالم الجديد فبدأ حينئذ تراكم سريع في معرفة جديدة من شعوب العالم كالهنود الحمر في أمريكا وشعوب جزر البحار الجنوبية وشعوب غرينلاندا التي تصيد الفقمة والرنة»[1]. حيث سعت الدّول الأوروبية إلى التوسّع اقتصاديا وسياسيا من خلال الشعوب الأخرى وعملت جاهدة من أجل معرفة أنماط عيشها وتفكيرها إمّا من أجل السّيطرة والهيمنة عليها أو من أجل

[1]- بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا (المفهوم والنشأة)، ص 35.

توسيع نفوذها أو احتلالها ولعلّ أهم عامل ساعد في ظهور الأنثروبولوجيا هو «بروز الفكر العلمي القائم على التجريب مع فرانسيس بيكو "*F.Becoh*" (1561-1626) ، روني ديكارت "*R.Decartes*" (1596-1650)، إسحاق نيوتن "*I.Newton*" (1642-1727) وغيرهم الذي غيرّ من نظر المفكرين للإنسان من التطورات الدينية إلى اعتباره ظاهرة طبيعية قابلة للدراسة والبحث العلمي والخضوع للمنهج التجريبي وبداية البحث في القوانين التي تحكم تطورها فوَفر ذلك منطلقا للفكر الاجتماعي والدراسات النظرية الأنثروبولوجية»[1].

أدّى ظهور المناهج العلمية إلى تجريد الإنسان من طابع القداسة واعتبرته ظاهرة طبيعية قابلة للتجريب من خلال الملاحظة والفرضية وصولا إلى صياغة النتائج.وسنذكر بإيجاز أهم الأعمال التي ساهمت في التراكم المعرفي للأنثروبولوجيا في مايلي[2]:

* «الرحلة الإستكشافية لكرستوف كولومبس "*Christoph Colombus*"إلى القارة الأمريكية ما بين (1492-1502) والتي دونها في مذكراته ووصف عاداتهم وتقاليدهم وأساليب عيشهم فوصف شعب جزر الكريبي و كيف أنهم يعيشون كلهم عراة عدا بعض النساء اللائي يُغطين عورتهن بورق الشجر وبالرغم من ذلك فهم مجتمع جد خجول.

* أعمال جان جاك روسو "*j .j.roussrau*" التي تضمنت مادة اثنوجغرافية ثرية عن المقارنات التي أجريت بين المجتمعات المكتشفة و المجتمعات الأوروبية.

* أعمال جورج هيجل "*G . hegel*" (1770-1831) وجوهان فختة (1762-1814) ممن يفتقدون في صفاء و نقاء الشعب الألماني على شعوب العالم.

---

[1]- خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 26، 27.

[2]- المرجع نفسه، ص 28، 27.

*جوهان هيردر "*j.herder*" (1733-1803)الذي أكد على تمايز السلالات وفقًا لـ:تركيبتها البشرية وتأثيرها بمظاهر المدينة ورؤيتها لمقومات الحضارة».

كلّ هذه الأعمال كانت هي البذور الأولى التي مهّدت للأنثروبولوجيا في شكلها الحالي ورغم النهضة التي عرفتها أوروبا في القرن 18و19 التي مسّت جميع القطاعات والمجالات الاقتصادية والسّياسية والأدبية إلا «أنّ الحرب العالمية الأولى ونواتجها جعلت المفكّرين ينقسمون إلى شقين:شق متشائم لما وصلت إليه البشرية يرى مستقبلها مخيفا وغامضا [...]وشق آخر متفائل يرى مستقبل الإنسانية أكثر إشراقا»[1]، وفي ظلّ هذه التحولات نشأت الأنثروبولوجيا باعتبارها علما مستقلا بذاته وقد مرت بمرحلتين:

أ- مرحلة التأسيس النظري: «خلال هذه الفترة ظهرت العديد من الدّراسات الأنثروبولوجية الدقيقة والتي أسّست لهذا العلم لكن أصحابها لم يجروا الأبحاث الميدانية بأنفسهم وإنما اعتمدوا على الرحّالة والمستكشفين»[2].

في هذه المرحلة التمهيدية اعتمد الأنثروبولوجيون على الرحلات وقاموا بدراستها بالتحليل والمقارنة لكن أعمالهم كانت نظرية بعيدة كلّ البعد عن المعايشة والتطبيق.

ومن الأعمال التي ظهرت في هذه المرحلة نذكر:

1- إدوارت برونت تايلور في كتابه "الحضارة البدائية"

2- جوهان مالكينانفي كتابهالزواج البدائي1865.

3- جيمس فريزر الأسكتلاندي "James Feorgefrazen " وكتابه الشهير "الغصن الذهبي".

1- خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 33.

2- المرجع نفسه، ص 33، 34.

ب– مرحلة الأعمال الميدانية: في هذه المرحلة ظهر فرع الأنثروبولوجيا كتخصص مستقل عن غيره من العلوم والمقاربات، وبدأ الأنثروبولوجيون يهتمون بالجانب الميداني من خلال المعايشة والملاحظة للظواهر المختلفة وأصبح العمل الميداني جزءا من عمل الباحث الأنثروبولوجي، حيث ظهرت العديد من الأسماء التي تخصّصت في مجال الأنثروبولوجيا وفروعها فمنهم من بحث في عادات وتقاليد الشّعوب ومنهم من اهتم بتطور الإنسان على مرّ العصور ومنهم من اهتم بثقافات الشّعوب والمقارنة بينهما.

وباطلاعنا على عدد من الكتابات عن بواكير الأنثروبولوجيا ، ربما يمكن القول بصفة عامة أنّه بالرّغم من تعدّد الاتّجاهات في تناول هذا الموضوع ، إلا أنّه يمكن أن نشير إلى ثلاث معالجات رئيسية:

– هناك أولا من تناول الأنثروبولوجيا من خلال العرض لمجموعة منتقاة من الرّواد الأوائل لهذا العلم ومن المحدثين على حدّ سواء، عارضا لأعمالهم بالشّرح والتّحليل كما فعل الأمريكيان إبرام كاردينر *Ibram Kardiner* ، وزميله إدوارد بريبل *Edward parable*، وكذلك البريطاني إيفانز– بريتشارد، ولعلّ من أحدث ماظهر في أوائل الثّمانينيات من مؤلّفات في هذا الإطار كتابي الأمريكي" سيدني سلفرمان" *Sydney Silverman*بعنوان مدارس(مذاهب فكرية) ومعلمون" والفرنسي "دان سبيربر *Dan Sperber* بعنوان" المعرفة بالأنثروبولوجيين" وهنا يكمن تناول الأفكار والقضايا الأنثروبولوجية، القديم والحديث منها، وحاول تتبّع مصادرها وتطوّراتها منذ العصور القديمة حتّى وقت النّشر، يمكن أن نشير هنا إلى كتاب" إيفانز– بريتشارد عن "الأنثروبولوجيا الاجتماعية" كأحد الأعمال التي تدخل ضمن هذا الاتجاه، ظهر هذا الكتاب في عام 1951، ضمن مجموعة المحاضرات التي كان قد ألقاها المؤلّف في البرنامج الثالث" الثقافي"بالإذاعة البريطانية في شتاء عام 1950، ويندرج تحت هذا

الاتجاه أيضا كتّبا الفرنسيين" جان بواريه" و" بول ميرسييه" اللذان سبقت الإشارة إليهما.

أمّا عن المعالجة الثالثة لتاريخ الأنثروبولوجيا فقد جاءت في كتابات بعض الانثروبولوجيين عن خبراتهم الشّخصية،وسيرهم الذّاتية في مجال الفكر الأنثروبولوجي عامة إلى جانب أعمالهم ودراساتهم، كمقال الأمريكيتين" مارجريت ميد" المنشور عام 1973 بعنوان" تغيّر أساليب العمل الأنثروبولوجي" ومقال البريطاني" ميسير فورتس" المنشور عام 1978 بعنوان (الخبرات العملية لعالم أنثروبولوجي، وكذلك مانشره الأمريكي" رالف بيلزRalph Beals عام 1982 بعنوان " خمسون عاما من ممارستي للأنثروبولوجيا.ولاريب أنّ أشهر الأعمال في هذا المجال قد جاءت على يد" كلود ليفي شتراوس".

وهكذا يتضح لنا تعدّد مصادر البحث عن المادة التاريخية لعلم الأنثروبولوجيا وتخصّصاته المختلفة، كما أنّ هناك دائما سبلا جديدة يمكن للمتلقي اتخاذها للإستنارة أكثر في هذا الرّحب الواسع الآفاق ، كالكتب والمراجع التي تعالج النّظريات والمناهج الأنثروبولوجية والمؤتمرات التي يعقدها عادة أعلام الأنثروبولوجية أمام المؤتمرات العالمية.

ثانيا:الرّواد ومحاولات التنظير والتفسير للظواهر البشرية بوصفها أنثروبولوجيا:

ومهما يكن فإنّ تأسيسه كعلم أكاديمي يعود إلى ثلّة من علماء ساورتهم الدّهشة من الذّات الإنسانية، وأنماط الحياة المعيشية، والعلاقات بين الناس والثقافات، فبحث كلّ واحد منهم ،بجرأة العالم من موقعه المعرفي ونمط تفكيره وبيئته الثقافية وأوضاعه الخاصة، ظواهر الناس الذي تطلّب منهم مواجهة كثير من الصّعوبات ومنها صعوبات التّنقل المالية والسّياسية، وفيما يلي إطلالة سريعة على زمرة من المؤسّسين:

1– مورغان ،لويس هنري *Lewis Henry Morgan* يعدّ من أوائل المؤسسين للأنثروبولوجيا وهو قاض أمريكي، تصنّف دراساته بحسب" توماس هايلاند" *Thomas Highland* في خانة أنثروبولوجيا التطور البيولوجي الاجتماعي، وكان قد نشأ في حقل زراعي، استرعت انتباهه ثقافة الهنود الأمريكيين، فجمع عنهم معلومات تتعلق بنظامهم الاجتماعي فكان بذلك حقليا في منهجه، وانحاز إلى حقوقهم السياسية، فكرّس جهوده لتوثيق ثقافتهم بوصفهم السّكان الأصليين حتى لا تضيع في خضمّ الهجرات الأوروبية ، واهتم بموضوع القرابة والأصل السّكاني.

"حيث يرى بحسب مااهتدت به بحوثه حول تطور الأسرة والدولة وأشكال التنظيم الاجتماعي إلى أنّ البشرية مرّت بمراحل ثلاثة (التوحّش: عصر الباليوليتي والصّيادين، والبربرية: الثورة النيوليتية واكتشاف السيراميك، الحضارة: عصر بداية الكتابة."[1]

2– ماوس مارسيل *Marcel Mauss* ولد عام 1872 في أبينال، درسفي بداية مشواره العلمي، الفلسفة في "بوردوا" التي تخرج منها عام1893، وبمطالعته الكبيرة لكتب الأنثروبولوجيا، ودراسته للغة السنسكريتية وتاريخ الأديان انتمى فكرا وبحثا إلى مجموعة الباحثين في علم الاجتماع ومن بينهم" دوركايم" *Emile Durkheim* الذي كان مساعده إلى أن خلفه بعد وفاته، سنة 1917، حيث عدّ تقطيع واقع اجتماعي وعزله عن كلياته لدراسته إنما هو مرحليّ في التحليل ومن أجل الوصول إلى هدف الأنثروبولوجيا الاجتماعية من حيث هو هدف كلّي يتعلق بإدراك فكرة "الحدث الاجتماعي الكلّي" وهي فكرة طالما بعث بها كل من" دور كايم" و" مالينوفسكي" *Malinowski* و" ألفرد راديكليف" *Alfred Radcliffe Brown* فكلّ حدث اجتماعي، إنّما هو حدث كلّي بأبعاده الاقتصادية والدّينية والقانونية والجمالية والوصفية،

[1] جان فرانسوادورتيه، معجم العلوم الإنسانية، تر: جورد كنزة، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009، ص1023.

يوجد في الكائن الإنساني منغرس فيه، وبهذه الفكرة اهتم بما أسماه الإنسان الكلّي أي الإنسان في أبعاده البيولوجية والنفسية والاجتماعية، ووضع الجسد وتقنياته صلب الإنسان الكلّي، من حيث هو الآلة الجسدية الأولى بواسطته يكتسب الإنسان كفرد كل ماهو خارج عنه، ولم يعتن بالدّراسات الحقلية في كلّ مايدرسه، ولم يكن مرتاحا لمايجري من ملاحظات عينية ودعا إلى اعتماد الإثنوغرافيا الشاملة، وعلى الرّغم من أنّه لم يقم بأيّة دراسة حقلية إلى أنه كان من المهتمين بالدّراسات الاستقصائية الحقلية بوصفها مدخلا لتصحيح مايعتقده صرامة المنهج الدور كايمي.

3 - راد كليف– براون ألفرد: *Alfred Radcliffe Brown* عاش في مابين 1881-1955 في انجلترا، اهتم بالأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، يصنّف ضمن الوظفيين يرفض التطورية والانتشارية، بوصفه الاتجاه المركزي في بريطانيا، وانحاز إلى مناج العلوم الطبيعية كأساس لتطوير أبحاث الأنثروبولوجيا، ففي نظره أنه مادام المجتمع يعمل كنظام متماسك، يمكن للأنثروبولوجية أن تكشف قوانينه، إذا اعتمدت على مناهج العلوم الطبيعية."[1]

وقد صنّفت أبحاثه ضمن مايسمى"علم المجتمع الطبيعي" قاد البحث الأنثروبولوجي بعد" مالينوفيسكي" في بريطانيا، وتميز بانحيازه إلى الدوركايمية والبحث النظري أكثر من البحث الاثنوغرافيا التفصيلية، والنّظر إلى الفرد استقلال البنية الاجتماعية عن الأفراد، والتي يمكن تقسيمها في نظره إلى أنساق متمايزة فرعية، تسهم إلى حد بعيد على الحفاظ على الكل الاجتماعي (أنساق توزيع ووراثة الأرض، وأنساق لحلّ الصراعات، وأنساق التنشئة الاجتماعية)، رواده حلم تأسيس علم الاجتماع الطبيعي الذي أراده أن يتأسس على القواعد القضائية، والإمكانات الاجتماعية، والمعايير الأخلاقية، ورغم الغموض الواضح والضبابية في تنظير "رادكليف" للعلاقة بين السبب والنتيجة التي تحكم الأنساق

[1] المرجع السابق، ص437.

الثلاثة والكل الاجتماعي في البنية الاجتماعية، إلا أنّ محاولاته في المزاوجة بين البحث الإثنوغرافي والنظرية الاجتماعية دفعت مؤيديه من الباحثين المتحمّسين معه لتحقيق طموحه ، نحو المضيّ في تأسيس العلم. فشغلته فكرة البحث في كيف يدمج المجتمع القوي التي تربطه وتحافظ على كليته، عوضا عن الاهتمام بالثّقافة وماكان مسيطرا على تفكير الإنسان البدائي.حيث اهتم بالقرابة من حيث هي نسق قضائي للمعايير والأحكام كدستور للتفاعل الاجتماعي غير مكتوب، إلا أنه وفي نظر منتقديه بقيت المصطلحات التي يستخدمها غير واضحة المعالم، وتحتاج إلى تمحيص.

4- مالينوفسكي برونيسلاكاسبار *Malinowski Bronislaw Kaspar* : عاش" مالينوفسكي" في مابين عامي 1884-1942ورغم أنه من أصل بولوني وتخصصه الأصلي في الفيزياء والرياضيات كما درس علم النفس والاقتصاد، إلا أنّه يصنّف من أبرز علماء الأنثروبولوجيا الإنجليز، بعد تحوله إلى دراسة أنثروبولوجيا الأسرة ونيله الدكتوراه في التخصص عام 1913 حيث صدر له مؤلفا في الأنثروبولوجيا حول مؤسسة الكولا باعتبارها مؤسسة الهبة الاحتفالية التي تمارس بين القبائل في جزر بولينيزيا، وأكّد أن المؤسسات (قواعد/ طقوس/ عادات/تقايد) التي استطاعت أن تستمر بفعاليتها هي الجديرة بالدّراسة والاهتمام لمعرفة سر استجابتها للوظيفة الاجتماعية، وكان يلحّ على طلبته بضرورة تعلّم اللّهجات واللّغات والعيش مع الناس عن قرب لتجميع المعطيات الميدانية والتحقّق منها من مصادرها، ومن ثمّة إمكانية تأويلها في سياقاتها الكلّية المترابطة.

ويعتقد أنّ الدّراسة الكليّة للمجتمع دون تقطيعه إلى وحدات مجزأة هي أفضل الطّرق لدراسة المجتمع على أن يكون الهدف هو الفرد وليس المجتمع، كما هو الحال عند" دور كايم"، حيث استنتج من تحليلاته الوظيفية للبنيات في مواضيع مثل القرابة والسلطة والبنية الاجتماعية والاقتصاد والتجارة...إلخ.

5– لفي– شتراوس–كلود :*Claude Lévi- Strauss* ينحدر من الفلسفة والبحث الفسفي ثم تخلّص من تجريداتها، وبرز كعالم من علماء الأنثروبولوجيين الفرنسيين في النصف الثاني من القرن العشرين، بعد أن كان قد اكتشف الإثنوغرافيا بقراءته لكتاب" روبرت لوفي" *Robert Love* الذي وصف المجتمعات البدائية كأحوال الهنود وقواعد الزواج والتقنيات، بطريقة كانت كافية لأن تستهويه مواضيع الأنثروبولوجيا.حيث تحول "شتراوس" من كونه دارسا للفلسفة إلى أنثروبولوجي، حين سافر إلى البرازيل وشغل منصب أستاذ علم الاجتماع في "ساو باولو" *São Paulo* ويصنّف من أوائل الذين أسّسوا البنيوية داخل الأنثروبولوجيا، التي كان قد استوحاها من عالم اللّسانيات المعروف" رومون جاكبسون" *Roman Jakobson* في الولايات المتحدة ، بعد أن هاجر إليها من البرازيل بسبب قوانين المناهضة للسّامية، بتأسيسه بعد عودته إلى فرنسا لمختبر الأنثروبولوجا الاجتماعية، عام 1959، بعد انتمائه وظيفيا للمركز الوطني للبحث العلمي. وبنشره فيمابين 1955-1969لكتبه الثلاثة (أدب الرحلات الأنثروبولوجية/والأنثروبولوجا البنائية/ وأطروحته المعنونة ب" البنى الأولية للقرابة" يكون قد أحدث مايعتقد أنها ثورة في دراسات القرابة، من منظور الخصائص النوعية للنسق القرابي ذو المعنى فبنية الأسرة ليست مكانات بقدر ما هي علاقات ، وقد ركزت التحليلات البنيوية للأنساق القرابية على الكشف عن البنية وتحديد مبادئها التحتية والكشف عن منطق الاتصالات الإنسانية في النطاق الكوني.

– أعاد مفهوم الأسطورة في السلسلة التي أصدرها في مابين عامي 1964 و1971 من كونها ذات وظيفة اجتماعية في الانصهار المجتمعي وتلاحمه، إلى كونها جزءا من قواعد الخيال اللاواعية ومن قدرات الإنسان الخلاقة المتمثلة في البنى المنطقية اللاواعية، وذلك تأثرا بأفكار"جاكبسون" ووحي المنهج البنيوي.حيث اعتقد "شتراوس" أن بإمكان الأنثروبولوجي أن يكشف القواعد التي تضبط الجمل، ومن ثمّة كان تقطيع أجزاء

الأسطورة إلى وحدات وبنيات، هو المنهج الأفضل لديه، لاكتشاف العلائق الوظيفية بينها وبين الأساطير الأخرى.

6– ميد، مرجريت: *Margret Mead* تلقب "مرغريت،ميد" بسيدة الأنثروبولوجيا الأمريكية، بما تكون قد امتلكته من قوة الإقناع لأطروحاتها الثقافوية، عاشت في مابين 1901– 1978 تتلمذت على يد" فرانز بواس" *Franz boas* مكتشف الأنثروبولوجيا الثقافية، وعاشت صديقة وفية ل" روث بنديكت"، *Ruth* Benedict واشتهرت كأثروبولوجية في أول عمل لها في "سامبو" في إفريقيا،حيث أحدثت ضجة علمية في ماذهبت إليه من أن الفتيات المراهقات لشعب "سامبو" يعشن في هدوء وروية، على عكس فتيات أمريكا المراهقات ،كما طبقت الباحثة دراسات استقصائية إثنوغرافية مصوّرة، كما اهتمت بدراسة التحولات الاجتماعية في كثير من البلدان، وانتهت كمشاركة في معارك إيديولوجية مثل نبذ العنصرية، ومساندة الحركات النسوية، ووصل بها الحد إلى الدعوة إلى ضرورة تأسيس أنثربولوجيا إنسانية.

غير أن أطروحاتها حول المراهقة وارتباطها بأنماط التربية، لم تمر بسلاسة، ولم تحظ بالقبول في أوساط الأنثروبولوجيين، ومن بينهم " ديريك فريمان" الذي تنقل إلى"سامو" وإجراء استقصاءات وتوصّل إلى نتائج تخالف ماتوصّلت إليه"مرغريث"، " حيث اتّهمها بأنها بنت أسطورة علمية بناء على معلومات وضيعة وبسيطة وهو نفس الانتقاد أو مايشبهه الذي قدّمه" سيرج تسيركزوف" ل"ديريك" حين قام باستقصاء ميداني هو الآخر سنة 2001 ، لأن "مارغريت" كانت قد توفيت قبل ظهور تلك الانتقادات بخمس سنوات،"[1]

7– دوغلاس ماري : *Mary Douglas* عالمة من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانيين، ولدت سنة1921، ودرست في "أكسفورد" *Oxford* على "إدوار لإيفانز

[1] المرجع السابق، ص1035.

بريتشارد" *Edward Evan Evans-Pritchard* تنقلت في اختصاصاتها داخل الأنثروبولوجيا لبحث ماشغلها من مواضيعها. ففي بداية بحوثها الأنثروبولوجية، تخصّصت في الإثنوغرافيا ودرست بعض المجتمعات الأمومية في الكونغو(الزائير) عام1977، وتمكّنت ببحوثها الأولى من الحصول على عمل في "أكسفورد"، ثم اهتمت بعد ذلك بالدّراسات الأنثروبولوجيا المقارنة، لأنماط التفكير والأنظمة الرمزية، وانتقلت إلى أمريكا لتتابع بحوثها ودرست في جامعة "إلينيوي"، وبالمنهج البنيوي الصارم اهتمت بدراسة المحرمات في التوراة، كما حولت اهتماماتها بعد الثمانينيات القرن الماضي إلى دراسة المجتمعات الحديثة، واهتمت بالأنشطة الرمزية والمنطقية، وصنفت في آخر رحلاتها وتنقلاتها العلمية من ضمن الجيل الذي أدخل الصراع والتحولات الاجتماعية باهتماماتها بالمؤسسات الاجتماعية حيث أعادت أفكار دوركايم إلى الواجهة تعارض بها النزعة الفردية."[1]

8- بالانديه جورج *Georges Balandier* يعد هذا الباحث المولود سنة 1920 من أساتذة جامعة السوربون المهتمين بالأنثروبولوجيا، عيّن مدير الدّراسات في المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية، اختصّ في بدايته كباحث أنثروبولوجي في الدّراسات الإفريقية في نطاق ومنظور" المجتمعات البدائية" الثابتة، إلا أنّه رفض النزعة البنيوية ونظر إلى المجتمعات الإفريقية وكأنها مجتمعات سكونية، واهتم بالجانب الديناميي لهذه المجتمعات،اهتم الباحث بالأنثروبولوجيا السياسية والسلطة ، حيث درس المخزون الرمزي الهائل الذي تستخدمه السلطة في إفريقيا بعد فك ارتباطها بالاستعمار كانت من أجل ترسيخ سلطتها نافيا عليها الصّورة التقليدية،حيث أبرز أفكاره حول المجتمعات الحداثية التي وصفها بأنها مجتمعات يمتزج فيها النظام باللاّنظام ، وهو بذلك يطمئن المجتمع

[1] جان فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية ، مرجع سابق، ص296.

الفرنسي بأن مايراه من اللانظام في المال والإرهاب والعنف، إن هو إلّا حالة طبيعية فاللاّنظام هو الآخر بناء في كلّ مجتمع.

الخاتمـــة:

هذه هي إذن أهم مراحل نشأة الأنثروبولوجيا التي ظهرت كعلم مستقل بذاته خلال القرن العشرين، لكن يجب أن لا ننفي دور الدّراسات والمحاولات السابقة لهذا القرن فهي التي مهّدت للأنثروبولوجيا سواء كانت إغريقية مثل أعمال "هيدروتس" و"أرسطو" أو عربية مثل رحلات "ابن بطوطة" و"ابن جبير" وأعمال "ابن خلدون" أو أوروبية مثل "جيمس فريزر" و"مكلينان".

ولاريب أنّ هؤلاء الرّواد في بحثهم عن الشّأن الإنساني بجميع شوائبه وتعقيداته، لم يكتفوا بتأسيس الأنثروبولوجيا كعلم من العلوم الإنسانية بل وضعوا الأعمدة الأولى لمنهجها ومنهجيتها، ممّا يرشّحها لاكتساب سمة العلم ويحميها من الانطباعية والذّاتية، ومن البديهي أن لاتبقى أعمدة المنهج كما تأسّست بل تتطوّر مع تطوّر الدّراسات الأنثروبولوجية والدّراسات المحايذة لها في العلوم الأخرى التي تستفيد وتستعير منها .

المحاضـــرة رقـــم (03)

أقســـام الأنثروبولوجيا

(الأنثروبولوجيا الطّبيعية)

تمهيـــد:

يلزم الباحث العبور إلى تخصّصات أخرى متاخمة في مقارنة الشّأن الإنساني وفهم معناه. وعلى الرّغم من بروز نزعة التّكامل بين فروع الأنثروبولوجيا إلّا أنّه من الصّعب رسم الحدود بين علم فرعي أنثروبولوجي وآخر، إلّا أنّ النّزعة الانفصالية الدّاخلية ماضية، حيث صار لكلّ علم مناضلون من اختصاصيين ، يتنازعون الشّأن الأنثروبولوجي ويبرهن إلى العلماء لفهم وجود الإنسان."ولهذا شاب الاختلاف بين العلماء، مجال التّخصّص الأنثروبولوجي مثل ما شاب جميع العلوم الإنسانية."[1] وسنلاحظ أنّ حدود هذه الفروع تتبدّل من بلد إلى آخر، ومن عصر إلى آخر ومن تراث إلى آخر، ولكنها لاتخرج أبدا عن الإطار العام للعلم وهو دراسة الإنسان وأعماله .

وأعرض فيما يلي لنبذة عن كلّ فرع منها بالتفصيل وليكن أول فرع هو الأنثروبولوجيا الطّبيعية.فماهي الإضافات التي قدّمها إلى علم الإنسان؟

أولا: الأنثروبولوجيا الطّبيعية:إنّ تقسيم الأنثروبولوجيا إلى فروع كما يعتقد "لينتون".[2] حيث بدأ بتعريف الإنسان ذاته بوصفه ظاهرة أنثروبولوجية، وبدأ الانقسام في الأنثروبولوجيا أو التّفريغ كما تؤكّده الدّراسات التّاريخية بقسمين أو فرعين كبيرين:"

---

[1] رالف لينتون، الأنثروبولوجيا، وأزمة العالم الحديث، ت عبد المالك النّاشف، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،(د.ط)، 1967، ص13-15.

[2] رالف لينتون: هو فيلسوف أمريكي وهو عالم في مجال الأنثروبولوجيا،له عدة نظريات في التمييز بين الحالة والدور:(مرتبة الشخص الاجتماعية تتكون من حقوق وواجبات، ومرتبة الشخص هي التي تحدد دوره.)

الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الثّقافية، يبحث أعمال الإنسان وتطوّرها وعلاقاتها ووظائفها الحضارية وطرق عيش الإثنيات والأنثروبولوجيا الطّبيعية- محور دراستنا- واختصّ ببحث الإنسان كنوع في ذاته (بدايات ظهوره، تكيّفه ، تطوره) ويستند على المعطيات الوراثية والبيولوجية والتّطوريّة الدّاروينية ،وانحاز إلى العلوم الطّبيعية.

"فمنذ أن نشر لينليوس العالم السّويدي العظيم بالتّاريخ الطّبيعي تصنيفه البارز للنباتات والحيوانات في القرن الثامن عشر، وضع الإنسان في قائمة مع الحيوانات، وعدّت دراسة الإنسان فرعا من علم الطبيعة، وإحدى معالم الأنثروبولوجيا البيولوجية(الإحيائية) المهمّة في فحص الدّليل المتعدّد الجوانب لتطوّر الإنسان من الأشكال "الدنيا"في حياة الحيوان، لذا فإنّ الدّروس "التّمهيدية في الأنثروبولوجيا الطّبيعية غالبا ماتبدأ بمواد من التّشريح المقارن للإنسان العاقل (هو موسابينز) وأبناء عمومته الأقربين القردة العليا والقردة (السّفلى) وكلّهم أعضاء في رتبة اللّبائن التي تسمّى الرّئيسيات ثمّ تجري بعد ذلك دراسة دليل متحجّرات التّطور البشري في شكل العظام المتحجرة لإنسان " لنياندرتال"وإنسان جاوره وعدد كبير من الشّظايا الأخرى من الإنسان والإنسان القرد الذين عاشوا قبل مئات الآلاف من السّنين ، يقودنا الاهتمام أيضا بالصّلات البايولوجية للإنسان بالرّئيسيات الأخرى إلى دراسة مقارنة للسلوك الاجتماعي للرئيسيات الأدنى من البشر أمثال الغوريلا، والشّامبانزي والبابون."[1]

لقد أضحت الأنثروبولوجيا الفيزيقية محلّ استغلال واسع في تحديد النّوع الأمثل والجنس الأمثل والعرق الأمثل والسّلالة المثلى بناء على مقولة أنّ الفروق بين الحضارات إنّما تعود إلى الفروق البيولوجية، كما تدّعي بحوث الإناسة النّفسانيّة والإناسة الجسدية...إلخ.

ثانيا: فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية: تفرّعت الأنثروبولوجيا الطبيعية إلى فروع أهمها:

[1] بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا- المفهوم والتّاريخ،ص18.

1 – علم الحفريات (الباليونتولوجيا):حيث يبحث الأصول البشرية كنوع (الزّاوية الفيزيقية) وهي الأنثروبولوجيا المتمركزة حول الإنسان في نشأته وتطوّره ضمن المجموعات الحيوانية، وبحث الأصل الفيزيقي الدّال على ذلك كدراسة مايسميه الأنثروبولوجيون بمكتسبات الإنسان من الخصائص التي أهّلته للانفصال عن الحيوانات والقردة العليا وما يسمّى بأشباه البشر، مثل خصائص الاعتدال والوقوف على الرّجلين وحجم الجمجمة واستغلال اليدين...وهو بذلك يتقاطع في محتوياته بعلم الحفريات وعلم الآثار والتّاريخ."[1]

واهتم هذا الفرع بكلّ ما يبدو في الإنسان كجسم من أنّه ذو أصل حيواني، والبحث في الفروقات التي تظهر بين النّوعين في كلّ عضو كالفروق المخّية وفروق العمود الفقري والفروق في الاستجابات العضوية....وعلى الرّغم ما يعتقد أنّه منهج مفتاحي ساعد في فهم الإنسان لاسيما في معرفة قدرة الإنسان على التّكيّف الغيكولوجي والبيولوجي كما يعتقد – جوليان هكسلي-إلا أنّ " لينتون" قلّل من أهمية هذا المنحى، حيث أكّد أنّ الحقائق التي توصّل إليها هذا الفرع قليلة جدّا ، وبقيت ظواهره محلّ شكّ وجدل واسع إلى اليوم. وذلك يعزو إلى الصّعوبة التي تعتري الدّراسات الأنثروبولوجية في كلّ فروعها من إعادة رسم صورة البشر البدائيين أو النّفوذ من خلال المعلومات الأثرية البسيطة إلى عمق حياته وظروف بيئته.

2– فرع علم الأجسام البشرية (السيماثولوجيا): تبحث مظاهر الجسم والأصناف البشرية والفروق وأسبابها وكذا تصنيف الأجناس البشرية والعلاقات بين الأعراف، والخصائص التي تميّز جنسا عن آخر كنمو الذّكاء والقدرة على التكيف والنّضج الجنسي، لإضافة إلى الخصائص السطحية:لون الشّعر والبشرة والقامة... كما

[1] مع نخبة من الأساتذة بإشراف إبراهيم مدكور، الهيأة المصرية العامة للكتاب، الشّعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة، اليونسكو، 1975، ص71-72.

يدرس كعلم متخصّص خصائص السّلالات، ويصنّفها وفقا لنشأتها وبنيتها الفيزيقية كشكل الرّأس والقامة وفصيلة الدّم.

ولم يقتصر هذا الفرع على دراسة الإنسان كحالة أنطولوجية[1] وحدث متطوّر في ذاته، بل يدرسه أيضا في سياق مملكة الحيوانات، وذلك بمقارنته مع اقرب الحيوانات ، شبها له، وذلك من خلال دراسة الخصائص الوراثية المشتركة بينها وبين الإنسان، وذلك إضافة إلى دراسة بعض سلوكياتها ، وتواصلها وعاداتها الغذائية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك أعمالا هامة قد تمّت خلال الفترة التي امتدّت من القرن الثّاني عشر إلى الثّامن عشر في مجال " الأنثروبولوجيا الطّبيعية" مثلا: أعمال الرسام الإيطالي "ليوناردو دافنشي *Leonardo Da Vinci* 1452 -1519) .، فقد أبرزت لوحاته الفنية التّفاصيل الدّقيقة لجسم الإنسان والحيوانات على حدّ سواء، الأمر الذي أسهم كثيرا في مجال دراسات التّشريح المقارن، وفي القرن السادس عشر، كانت أعمال " أندريه فيساليوس"*Vesalius Andreas*(1514-1564) حيث اتّخذ شكل الجمجمة كأساس لتصنيف الجماعات البشرية إلى سلالات ، لرؤوس الأتراك واليونانيين شكل دائري فإنّ مؤخّرة جمجمة الألمان تبدو مفرطحة كما أنّ رؤوسهم عريضة وكذلك أعمال " ريتشارد برادلي "*Richard Brddely* (1666-1723) وكذلك (كارل فون لينيه) *Carl Linné*(1707-1778) الذي فسّر اختلاف الصّفات البنوية (الشّكلية) للسلالات البشرية في إطار عدّة متغيّرات (المناخ/ نظام التّغذية...).

عبّر " ألفريد ل.كروبير" أحد أساطين علم الأنثروبولوجيا في " الأنثروبولوجيا اليوم"1953، عن فكرته " أنّ مادة الأنثروبولوجيا تستقى من مصادر مختلفة كثيرة للمعرفة وأنّ اهتمامات الأنثؤوبولوجيين في البحث وانماط دروسهم التي يلقونها تعكس

[1] أنطولوجيا: قسم من الفلسفة مرادف لعلم مابعد الطبيعة، يبحث في طبيعة الوجود الأولية علم الوجود ، علم الكائن.

هذا التّنوع العظيم، غير أنّه في مواقف كثيرة نجد اليوم ميولا نحو تشظية الفرع الواحد من فروع المعرفة : فقد أصبحت الأنثروبولوجيا الطّبيعية ، على سبيل المثال، أكثر تخصّصا وتعقيدا في بحوثها الفسلجية[1] والتشريح والوراثة الخاصة بالإنسان ويجد أغلب علماء الأنثروبولوجيا الطّبيعية أنفسهم أبعد فأبعد من الصّلة بأحدث البحوث والمعلومات في هذا الحقل، وفي الوقت نفسه يعاني العلماء في الأنثروبولوجيا الطّبيعية ضغطا عظيما لتركيز جهودهم في مجالات علم الإحياء الإشعاعي وكيمياء وفيزياء الوراثة البشرية والحقول الأخرى المتعلّقة بها التي تزداد جميعا تطورا سريعا وهكذا قد يصبحون غرباء نسبيا عن اهتمامات وبحوث علماء اللّغة وعلماء الأنثروبولوجيا الثّقافية وعلماء الآثار."[2]

خاتمـــة:

إننا لن نستطيع أن نعرض في هذا المقام تفصيلا لكلّ مشكلات الأنثروبولوجيا البيولوجية ومناهجها، وقد حاولنا أن نقدّم للقارئ فكرة عامة عن هذا الميدان وأن نوضّح العلاقة بينه وبين سائر موضوعات الدراسة الانثروبولوجية.

فالأنثروبولوجيا الطّبيعية أو الفيزيقية تدرس تطوّر الإنسان من الجانب البيولوجي والفيسيولوجي وترتبط أكثر بالعلوم الطبيعية.

[1] الفسلجية :علم وظائف الأعضاء أو الفسيولوجيا وهو علم دراسة وظائفالأعضاء والأجهزة الحيوية .

[2] بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا- المفهوم والتّاريخ،المرجع السابق، ص24-25.

المحاضـــرة رقـــم (04)

الأنثروبولوجيــا الثّقافيّــة والاجتماعيــة

تمهيــد:

تهتم الأنثروبولوجيا الثّقافيّة *Anthropologie culturelle* في كلّياتها بالإنسان كعقل يولد وينتج ثقافة ويراكمها في مجتمع معيّن، وفيه تتمّ دراسة الثّقافات ومكوّناتها من النّظم الإدراكية الفرديّة والنّظم الطّقسيّة الجماعيّة والأساطير والعادات والتّقاليد والأديان. وكذا النّظم الاجتماعية وقوانينها المؤسّسيّة. والفرق بين الأنثروبولوجيا الثّقافيّة والأنثروبولوجيا الاجتماعية[1] يكاد يكون صعبا ولايراه البعض مفيدا، وذا قيمة منهجيّة، ورغم ذلك فيمكن رؤية فروق بسيطة من خلال مراكز الاهتمام. ومن الطّبيعي أن تكون هناك تداخلات ومساحات مشتركة بين ماهو ثقافي وماهو اجتماعي، وقد وجد من يدرج الأنثروبولوجيا ضمن فروع علم الاجتماع.لهذآثرنا أن نجمع المحاضرتين (الأنثروبولوجيا الثقافية/ الأنثروبولوجيا الاجتماعية)، وعليه ماهي العلاقة المنهجية المنظمة بين مختلف جوانب السّلوك الاجتماعي والثقافي للإنسان؟

أولا:الأنثروبولوجيا الثّقافيـة: "نجدها أكثر اهتماما بالثّقافة من حيث هي ظاهرة إنسانيّة عامة أوسع من المجتمع، بل هي التي أوجدته كما يعتقد، وتبحث كيفية استجابات الإنسان القديم والحديث في بيئات واثنيات مختلفة اتجاه مايواجهه من مشكلات كما تبحث تناقل الخبرات وتوريثها وأصولها ومظاهر التّداخل الثّقافي وغيرها."[2]

---

[1] الأنثروبولوجيا الاجتماعية، نشأت في البداية في بريطانيا مشدّدة على أفكار دور كايمن وهي على نقيض الأنثروبولوجيا الطّبيعية.

[2] محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا ، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية القاهرة، ط1، 2008ص23.

"أمّا الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بالشّعوب وتحديدا تركّز على دراسة المؤسسات كبنيات اجتماعية رمزيّة وماديّة. بما يتضمّنه البناء من علاقات وتفاعلات وظيفية بين أعضائه، وهي البنيات التي أوجدتها الشّعوب في ضوء تطوّرها الثّقافي. ومن ثمّة يهدف بالبحث الأنثروبولوجي الاجتماعي إلى دراسة الفروق بين الشّعوب في مختلف الحضارات والأزمنة.وقد تمتدّ إلى دراسة الذّهنيات وطرق التّفكير الجماعي."[1]

وعلى كلّ فالأنثروبولوجيا الاجتماعية والثّقافية فرع اختصّ بدراسة العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان أكثر من دراسة العلاقة بين الإنسان والمحيط الطّبيعي الإيكولوجي. وبالتّالي فهي تخصّص إنساني يهتمّ بالإنسان دون الحيوان وباقي الكائنات الأخرى ويمكن رصد فروعه في:

1- الاثنوغرافيا: تهتم بوصف التّنظيم الاجتماعي، الدّين، العادات ، تحضير وإنتاج الأكل، اللّباس، الطّقوس والتّقاليد، الموسيقى ، اللّغة واللّهجات..

2- الاثنولوجيا:وتهتم بتحليل ماتمّ وصفه ومحاولة معرفة العلاقة بين مختلف النّظم والأنساق الاجتماعية والثّقافيّة.

وتهتم الأنثروبولوجيا بالمواضيع من مثل:

*التّنظيم الأسري والاجتماع خلال دراسة النسق القرابية عبر الثّقافات المختلفة، نظم الزّواج ، السكن، القرابة. وتتبع عوامل تغيّرها وتحوّلها وثباتها واستقرارها.

*تطوّر التّنظيمات السياسيّة والاقتصاديّة من حيث نشأتها وتطوّرها عبر الزّمن في الماضي البدائي والحاضر المتمدّن.

[1]- المرجع السابق، ص38/31.

ويرى "لنتون" أنّ الأنثروبولوجيا الثّقافية انقسمت إلى علوم الآثار(الأركولوجيا) علم السّلالات البشرية (الاثنولوجيا) وعلم اللّغويات. فعلم الآثار يبحث في أصول الثّقافات البدائيّة وتطوّرها ، ويختص أكثر بماهو غير مكتوب من الآثار، من حيث أنّ ماهو مكتوب لا يشمل الحقبات ماقبل التّاريخ، وأنّه عادة لا يتعدّى أخبار الملوك والكهنة. فيمكن لعلم الحفريات أن يساهم في تحديد نوع المأكولات وطريقة الأكل ونوع الأدوات وشكل البيوت أو الكهوف السّكنيّة. وطرق الدّفن وكذا الآثار المترتّبة عن التّغيّر المناخي وتاريخ تدمير المدن...بينما يبحث علم السّلالات البشرية الثقافات بمختلف الأجناس البشرية (رصد الأفكار والعادات والطّقوس والأساطير لمختلف الشّعوب والأجناس، بوصفها مؤسّسات جمعية فيحلّلها ويفسّرها ويؤوّلها ويقارن بعضها بالبعض.

ويدرج بعض علماء الأنثروبولوجيا ما يسمّى بالأنثروبولوجيا الرّمزية التّأويلية ضمن هذا القسم، والتي تتناول الثّقافة كما لو أنّها نظام رمزي يتعلّق بتأويل البشر للعالم والمحيط الذي يعيشون فيه، ومن أبرز علمائها"كليفورد غيرتر"، أما علم أنثربولوجيا اللّغة فيهتم بالنشاط الإنساني الرّمزي، وهو جانب حيوي يمكّن من فهم جوانب عديدة من حياة الإنسان، فاللّغة هي ترميز للحياة وتحديد للأدوات والسلوكات وأنّ عملية تحليل اللّغة في تراكيبها وأصواتها ودلالاتها ومعانيها، تمكّن من تحليل الأجناس وتساعد على تصنيف الأعراق، كما تمكّن من الولوج إلى أغوار الحياة الثّقافيّة للجماعات، من حيث هي وعاء للثّقافات وأداة للتّواصل. ويعتقد " لينتون" أنّ البحث في الثّقافة قد قاد حتما إلى بعض ميادين أخرى لم تكن ضمن اهتمامات الانثروبولوجيا، وهو ميدان العلاقة المتبادلة بين الثّقافة والشّخصية، تقبّل الشّعوب لفكرة الإدماج الثّقافي وغيرها.

ثانيا: الانثروبولوجيا الاجتماعية: تابعت الأنثروبولوجيا الاجتماعية دراساتها المتقدّمة، في النصف الثاني من القرن العشرين، ممّا أدى إلى اتّساع هذه الدراسات وازدهارها، وبالتالي إلى التقارب بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية .. وتمّ اعتماد

تطبيق المنهج التجريبي بدلاً من المنهج المقارن، حيث يستند كلّ باحث أنثروبولوجي – في تطبيق المنهج التجريبي – إلى نتائج دراسة باحث آخر لمجتمع معيّن، ويقوم بدوره بالتأكّد من صحّة هذه النتائج من خلال قيامه بدراسة مجتمعات أخرى. وبذلك، تصبح الفرضيّات المتفق عليها مبادئاً عامة في نهاية الأمر، أو معارف متداولة في مجالات لأنثروبولوجيا الاجتماعية .. وهذا ما عزّز من علم الأنثروبولوجيا في العصر الحديث .

ثالثا– أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية: إنّ التوصّل إلى نوع من التصنيفات والنماذج للأبنية الاجتماعية، يعدّ أمراً صعباً بالنظر إلى عدم اتّفاق العلماء على هذه النماذج من جهة، ولعدم وجود مصطلحات عالمية لمفاهيم الأنثروبولوجيا الاجتماعية من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى المشكلة الأساسيّة، التي تتمثّل في عدم وجود الدّراسات الميدانية الشاملة للمجتمعات الإنسانية جميعها، على الرّغم من محاولات الكثير من العلماء الوصول إلى ذلك الهدف .فالإنسان وحده – من بين المخلوقات – يتمتّع بإمكانية تطوير سلوكه المكتسب ونقله بالتعلّم، وأنّ نظمه ومؤسّساته الاجتماعية، تتّصف بالتنوّع وبدرجة من التعقيد أكبر ممّا تتّصف به الأشكال الاجتماعية لأي نوع آخر من أنواع الحيوان.ولذلك نجد أنّ المنطلق المنطقي لما يجرى من أبحاث حول المجتمع، هو دراسة أنظمة اجتماعية معيّنة واعتبار كلّ منها وحدة متكاملة. وممّا يسهّل المشكلة بعض الشيء، اعتبار الأنظمة كيانات متميّزة عن المجتمعات، إذ يمكّننا ذلك من تجاهل المدى الواسع للاختلافات الفردية في التعبير عن نماذج النظام، ومن التركيز على النماذج نفسها وعلاقاتها المتبادلة.بيد أنّ المشكلة تظلّ معقّدة بما فيه الكفاية، وأوّل مهمّة للباحث هي التحقّق من النماذج وطبيعتها.

وقد أنفق العالم / رادكليف براون / ثلاثين عاماً في الدراسة، للوصول إلى بعض النماذج العامة للأبنية الاجتماعية. وبفضل جهوده وجهود علماء آخرين، أصبح هناك

اتفاق شبه عام على بعض النماذج الأساسية للبناء الاجتماعي، مثال: (العشيرة – القبيلة – الدولة – الأمّة –المجتمع).

واستطاع هؤلاء العلماء تحديد الأشكال الأسرية الرئيسة، في المجتمعات الإنسانية. ويعدّ ذلك خطوة هامة نحو الوصول إلى القوانين الاجتماعية، التي يترتّب عليها ذلك التنوّع الملحوظ في الأبنية الاجتماعية المختلفة، وما أطلق عليه اصطلاحاً : (الدراسات المورفولوجيـــة).

رابعا– تحديد مظاهر التداخل والترابط بين النظم الاجتماعية : تبدو أهميّة استخدام المنهج الكلّي / المتكامل في الدراسات الأنثروبولوجية، في تحقيق ذلك الهدف الذي يتمثّل في تحديد التأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية، التي تدخل في نطاق البناء الاجتماعي الواحد. ويهتمّ العلماء اليوم، بهذا الهدف، إذ لا يوافقون على اقتصار الدراسة الأنثروبولوجية على الجانب الوصفي فحسب، وإنّما لا بدّ من التحليل للكشف عن الوظائف الاجتماعية للنظم الاجتماعية، عن طريق تحديد التأثير المتبادل فيما بينها.

وقد عرضت أمثلة كثيرة عن هذا الموضوع، حيث يطلق العالم / براون / على الدّراسة التي ترمي إلى تحقيق ذلك الهدف اصطلاحاً : (الدّاسة الفيزيولوجية) تمييزاً لها عن الدّراسات الخاصة بالهدف السّابق (الدراسات المورفولوجية).

إنّ مشكلة حقيقة الأنظمة الاجتماعية، هي مشكلة فلسفية أكثر منها مشكلة عملية. والمهمّ في الأمر هو أنّ مركّب النماذج الاجتماعية التي تتكيّف بعضها مع بعض تكيّفاً متبادلاً _ وهو ما اصطلح على تسميته بالنظام الاجتماعي – يتطوّر ويعمل بارتباط مستمر مع سائر عناصر الثقافة، وأنّ النماذج يجب أن تتكيّف مع هذا النسق تماماً كما تتكيّف بعضها مع بعض. أمّا المجموع الكلّي للثقافة، فيجب أن يتكيّف بدوره أيضاً، مع البيئة الطبيعية للمجتمع، لأنّ الإنسان قد يطوّر وسائل كثيرة ومتنوّعة للسيطرة على البيئة واستغلالها، ولكنّه لا يستطيع أبداً أن يتحرّر من أثرها. وبذلك يكون على

الباحث – من وجهة النظر الوظيفية –أن يأخذ في الحسبان عاملين أساسيين يلعبان دوراً تبادلياً وفاعلاً في هذا النظام الاجتماعي أو ذاك، وهما: النموذج الذي يعرفه الأفراد ويؤثّر في سلوكاتهم من جهة، والثقافة التي ينشأ عليه هؤلاء الأفراد، والتي تعنى بتلبية الحاجات الكليّة للمجتمع من جهة أخرى، وذلك لأنّ الأنظمة الاجتماعية لا يمكن أن تؤدّي وظيفتها، إلاّ كجزء من المجموع الكلّي للثقافة.

خامسا- تحديد عمليات التغيير الاجتماعي : تهدف الدّراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، إلى تحديد خصائص التغيير الاجتماعي وعملياته، والتي تحدث في الأبنية الاجتماعية، سواء ذات المعدّل السّريع في التغيير أو المعدّل المتوسّط أو المعدّل البطيء وقد لا حظ " براون " أنّ الدّراسات الخاصة بذلك الهدف، اهتمّت بدراسة أثر الحروب الاستعمارية على النظام القبائلي في أفريقيا وآسيا. ولكنّ التغيير الاجتماعي عملية معقّدة، متعدّدة الجوانب ومختلفة العوامل فلكلّ مجتمع طريقته الخاصة في الحياة، والتي يطلق عليها العلماء الأنثروبولوجيون مصطلح **الثقافة** وبما أنّ الكائنات البشرية تعيش في تجمّعات (مجتمعات) وتطوّر طرقها الخاصة في الحياة بما يتلاءم مع أوضاعها الخاصة والعامة، فإنّ للثقافة هنا دوراً كبيراً في عمليات التغيير الاجتماعي، الفكري والسلوكي .

نؤكّد على أنّ الأنثروبولوجيا تهتم بالشعوب وتحديدا تركّز على دراسة المؤسسات كبنيات اجتماعية رمزية ومادية، بما يتضمّنه البناء من علاقات وتفاعلات وظيفية بين أعضائه، وهي البنيات التي أوجدتها الشعوب في ضوء تطورها الثقافي.

سادسا- موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثّقافية:والواضح أنّ الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بشكل خاص يتراوح بين الاتجاه لدراسة البناء الاجتماعي ومختلف النظم والأنساق الاجتماعية التي تكوّنه ووظيفة هذه النظم، إضافة إلى دراسة الثّقافة بمكوناتها المختلفة ، وفيما يلي نحاول أن نورد بعض هذه الموضوعات :

1/ الثقافة :وهي من الموضوعات الأساسية في الأنثروبولوجيا باعتبار هدف هذه الأخيرة التي ترمي إلى فهم ثقافة الشعوب ومختلف التمايزات الموجودة بينها

أ/ **مفهوم الثقافة:** لعلّ أشهر تعريف أجمع المهتمون بالثّقافة على شموليته هو تعريف "إدوارد تايلور" في كتابه " الثقافة البدائية" عام 1871: " الثقافة هي ذلك الكلّ المعقّد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في مجتمع " .

ب/ **عناصر الثقافة ومكوناتها** : تقسّم الثّقافة عادة بحسب العناصر المكوّنة لها إلى ثقافة مادية وثقافة لا مادية (روحية معنوية) فتشمل عناصر الثقافة اللاّمادية الفنون والأفكار والمعتقدات والعادات كما تشمل عناصر الثقافة المادية الآلات والمعدات والوسائل ...وهذا التقسيم هو الذي يفصل بين لفظي ثقافة وحضارة لدى البعض (المدرسة الألمانية)، إذ تتصل الثقافة بالجانب الروحي بينما تتصل الحضارة بالجانب المادي ،عكس المدرسة الفرنسية التي مزجت بين اللفظتين حين ظهورهما ، إذ تشيران (ثقافة وحضارة) إلى الجانبين معا .

ويلجأ الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع إلى تحليل الثقافة بحسب ما يشكّلها من عناصر ويقوم البعض بتجميع الثقافة في ثلاثة قطاعات كبرى بناء على نظرة " إيلين هوايت "[1] *Ellen White* للثقافة التي ترتب عناصر الثقافة في ثلاثة مواقع هي :

- الأشخاص (وما يتعلق بهم من عقائد واتجاهات و أفكار...).
- الأشياء (كلّ ما هو مادي محسوس).
- العلاقات بين البشر وبين البشر والأشياء.

كما يقسّم البعض الثقافة إلى:

[1] إلين هوايت: يعتبر السبتيون أن السيدة هوايت هي نبيتهم، صاحبة الرؤى والأحلام ويضعون كتاباتها مرتبة الكتب المقدسة.

- عموميات: وهي الثقافة التي تشمل المجتمع كلّه.
- خصوصيات: وهي ثقافة جماعة محدّدة داخل المجتمع.
- البدائل أو التغيرات: وهي جملة العناصر الثقافية التي تدخل على الخصوصيات أو العموميات فتحدث فيهما تغيرا ثقافي ا.

ج / وظيفة الثقافة : يرى "مالينوفسكي" أنّ الوظيفة الأساسية للثقافة هي إشباع الحاجات الأساسية للأفراد ، فإذا كانت الثقافة هي كلّ شيء يضاف إلى ماهو خام وطبيعي ، وإذا كانت الطّبيعة الإنسانية مثلا تستدعي الأكل والنوم والجنس في الجانب البيولوجي، فإنّ الثقافة هي الكيفية التي تشبع بها هذه الطبيعة (طريقة الأكل وكيفية النوم...) وكذلك في جوانب الحياة الأخرى كالجانب النفسي مثلا حيث الحاجة إلى الأمن هي الطبيعة وإيجاد وسائل الدفاع عن النفس تمثل الثقافة .وهناك وظيفتان أساسيتان للثقافة :

* **الوظيفة الاجتماعية**: وتتضمن تجميع الناس في عالم عقلي أخلاقي مشترك يشعرهم بانتمائهم الواحد فتضمن من خلال هذا استمرار ووحدة المجتمع، كما تزود الأفراد بالأهداف والآمال وتقدم لهم تفسيرات مسلم بها عن المحيط والعالم.

* **الوظيفة النفسية**: وترمي إلى قولبة شخصيات الأفراد من خلال تزويدهم بأنماط السلوك وتمكينهم من طرق التعبير عن العواطف والانفعالات.

***د- خصائص الثقافة** : هناك اتفاق بين المهتمين بالثقافة حول بعض الخصائص أهمها:*

- ❖ الثقافة اجتماعية ومكتسبة : تكتسب من المجتمع عن طريق التعلم .
- ❖ إنسانية: أنها من سمات الإنسان دون غيره من الكائنات.
- ❖ انتقالية: تنتقل بين المجتمعات والأجيال.
- ❖ أفكار وأعمال: فهناك جانب روحي فكري للثقافة وجانب مادي ملموس.

❖ متنوعة الشكل مختلفة المضمون: فلكل مجتمع لغة ودين وعادات لكن هناك اختلاف في طبيعة هذه العناصر بين المجتمعات.

❖ متغيرة: فالثقافة تتغير من خلال عمليات الاتصال والاحتكاك الثقافي وعمليات التعديل والتطور.

2/ **البناء الاجتماعي**: وهو من الموضوعات الأساسية في الدّراسات الأنثروبولوجية ويشير إلى تلك المجموعة من الأطر التنظيمية التي تنتظم في إطارها كافة العلاقات الإنسانية التي تجمع بين الأفراد في مجتمع ما أو التي تتعدّى حدود المجتمع الواحد ، ويشير البناء الاجتماعي إلى النظام الاجتماعي العام الذي يتكون من مجموعة من النّظم الفرعية التي تتشكّل بدورها من مجموعة من الظّواهر والعلاقات الاجتماعية .

3/ **نظام القرابة**:ويعدّ نظام القرابة من الموضوعات الأساسية في الأنثروبولوجيا ، لأنه المجال الذي يتمّ بمقتضاه التعرّف على طبيعة علاقات الاتصال عبر قنوات الأسرة و الزواج و القوانين التي تحكمهما، لذلك يعتبر الزواج و نظام الأسرة إحدى أهم النظم الداخلة في تشكيل النظام القرابي العام و يعدّ النظام القرابي من الموضوعات الأولى التي تمّ تناولها في السياق الأنثروبولوجي ، فقد عني به "لويس مورغان " في كتابه " أنظمة قرابة العصبية و النسب للأسرة البشرية" عام 1871 ، كما اهتم به كل من "مارسيل موس" و"راد كليف براون "من الأنثروبولوجيين الأوائل أمّا اللاحقين فكانت لإسهامات "كلود ليفي ستروس" (1908-2009) الفضل الكبير في تطور هذا المجال. حيث " بيّنت أنّ القرابة هي بمنزلة الماكنة التي تحرّك المجتمع البدائي. ففي القبائل أفريقية سودانية وجد أنّ الصّراعات الخطية العرقية (أنا ضد أخي، أنا وأخي ضد أقاربنا، والأقرباء، ضد الأقرباء من الدرجة الثالثة....إلخ لا يمكن فهمها وتفسيرها إلا بمدخل القرابة، وهذه الظاهرة

الخطية الصراعية يمكن أن تكون بارزة في كلّ مجتمع تطغى عليه قيم القبيلة من حيث هي قيم قرابية وعرقية بالدرجة الأولى."[1]

وبالتّالي استحال موضوع القرابة إلى مدخل مفتاحي لفهم واستيعاب العلاقات والتجاور السّكني والإرث والامتلاك والتراتبيات الاجتماعية....

و في تحليل النظام القرابي يتمّ الرجوع إلى الأنماط المختلفة للزواج و أنواعه و تصنيف الأسر و أنواعها ، ففي مجال الزواج نجد أن هناك نمطين بارزين :

* **النمط الأول** : هو نمط الزواج الاغترابي (الزواج من خارج المجموعة القرابية)

* **النـــمط الثاني** : و هو نمط الزواج الداخلي حيث الزواج من داخل المجموعة القرابية، أمّا الأسرة فنجد أنها تتكون بدورها من عدة أنماط لكن أبرزها هي :

* **نمط الأسرة النووية أو الأحادية**: تتكون من الزوج و الزوجة و الأبناء و يشتمل هذا النمط على جيلين اثنين (جيل الآباء و جيل الأبناء).

* **نمط الأسرة المتعددة**: و تتكون من مجموعة من الأسر النووية و تشمل على أجيال كثيرة (جيل الأجداد و الآباء و الأبناء و الأحفاد.....) و هناك العديد من أنماط الأسر كالأسرة متعددة الأزواج ، و الأسرة متعددة الزوجات .....إلخ.

***– القرابة عند "كلود ليفي ستروس"** : ترتكز القرابة عنده على كيفية نشأة الأسرة ، فالعنصر الأساسي في تشكيل الأسرة عنده هو الخال و بهذا و من منطلق اهتمام "ستراوس" بالبنيات المتحكمة في الظواهر تكون البنية" الخالية " (نسبة إلى الخال) هي المتحكم الأساسي في ظهور الأسرة و ذلك نظرا لأن أي مجتمع يقوم أساسا على قاعدة " تحريم زواج المحارم" و هي القاعدة التي تحرّم على الرجل من الزواج بأخته فيقوم بالتنازل عنها إلى رجل آخر كما يتزوج هو من إمرأة أخرى ، ويرى "ستراوس" أن هذه القاعدة

[1] توماس هايلاند إريكسون، العرقية والقومية، وجهات نظر أنثروبولوجية، ت، لاهاي عبد الحسين، عالم المعرفة ، ع 393 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ، 2012،ص106-108.

التي تعادل " البنية الخالية " هي بمثابة قانون ذهني عقلي حاضر في اللاوعي الإنساني، و هي البنية الأساسية المتحكمة في تنظيم الأسرة .

4- الطوطم والتابو: الطوطم مصطلح آخر" نفسي أنثربولوجي" تحديدا، يطلق للدّلالة على شيء قد يكون نبات أو حيوان يكون محلّ احترام وتقديس من العائلة أو العشيرة البدائية. وقد استثمره "سيغيسموند فرويد" *Sigismund Schlomo Freud* لتطبيق معطيات التحليل السيكولوجي على غرار"كارل يونج"*Carl jung* و"وليام فونت"*Wilhem Wundt* . فـ" الطوطم في قصة التحليل النفسي، هو ناتج خشية الإنسان البدائي من إحدى أو بعض ما يحوطه من مجاهيل، قد يكون حيوان أو نبات أو جماد فيقدّسها، وفسّر مخاوف الأطفال بأنها رمز لاشعوري لمخافة الأب . من حيث هو مصدر الحب والكره في آن واحد كما تقول أسطورة أديب، وبني عليها نظريته واعتبره أي الطوطم هو ذلك الجد الأسطوري الذي قتله أبناء العشيرة ، ومن حادثة قتله وماتداعى عنه من شعور بالذنب لدى الأبناء من قتل أبيهم، نشا كما هو في تأويلات التحليل النفسي لفرويد التي ظهرت في 1912-1913."[1]

و يوظّف "الطوطم" في المعرفة الأنثروبولوجية عادة للتعبير عن ظاهرة كونية مرّت بها البشرية، فهناك من القبائل تحمل اسم (دب، سمكة، السنجاب، ثور...) وقد وجد ما يشابه هذا التقديس في معتقدات كثيرة لدى الشعوب، مما جعل العلماء يطلقون على " الطوطم" المؤسسة الإنسانية الأولى بوصفه تنظيما اجتماعيا.

الخاتمـــــة:

إذا كانت موضوعات الثقافة و البناء الاجتماعي ونظام القرابة موضوعات أساسية للدّراسة الأنتروبولوجية، فإنّ هناك نظم أخرى لا تقلّ أهمية عنها، كالنّظام الدّيني

[1] العربي بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان، ص204.

والنّظـام السّياسـي و الاقتصـادي ....إلخ ، و هـي كلّهـا محـلّ للدّراسـة في مجـال الأنثروبولوجيا فمند أقدم العهود والمعاينات الأنثروبولوجية تصاحب الإنسان على الدّوام ، وتترصـد (بـإخلاص شـديد) حركاتـه، وأفعالـه، وأفكـاره، وحـتى أوهامـه وإنّ اكتشـاف الأنثربولوجيا لما يمكنها أن تكتشفه (دون سواها) هو مايبرّر وجودها.

المحاضـــرة رقــم (05)

الأنثروبولوجيــا الدّينيّــة"

تمهيـــد:

لم يكن الدّين بمنأى عن البحث والدّراسة والتّمحيص، بوصفه عتبة من عتبات فهم الإنسـان المتعبّـد، حيـث تمّ تناولـه مـن قبـل الأنثروبولوجيـا ،واستند إلى مقـولات فلسـفية وسيكولوجية، فأضفت عليه مسحة من التّعقيد على مستوى المفهوم والممارسة وحتّى على مستوى المعرفة النّسقية والمنهجية.[1]

فما المقصود بالأنثروبولوجيا الدّينية؟ وماهي منطلقاتها؟

أولا- الأشـكال الأوّليـة للحيـاة الدينيـة: لقـد أوجـد"إميل دوركهـايم" العـالم الفرنسي نظريته وسمها" أصول الدّين ووظائفه" وجمع أدلّة ليؤكّد أنّ الممارسات الطوطمية الأسترالية تعبد كلّ جماعة اجتماعية أو عشيرة أو فخذ طوطما حيوانيا خاصة أو ظاهرة طبيعيـة أخـرى، فـالحيوان أو النبـات الطـوطمي رمـز للجماعـة الاجتماعيـة نفسـها ليخـل" دوركهايم" إلى أنّه: "لاجدال أنّ المجتمع يمتلك كلّ ماهو ضروري لإثارة الإحساس الدّيني في العقول بالقوة التي يملكها عليهم، لأنّه بالنسبة إلى أعضائه كالإله لعابديه....وليست القوّة الدّينية إلاّ القوة الجماعية المجهولة للعشيرة"[2].

---

[1] للإفادة أكثر ينظر:

- فيورباخ، أصل الدّين ، تر أحمد عبد الحليم عطية، ط1، 1991، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، صص11-17.

- فيصل دراج، الماركسية والدّين،دار ابن خلدونن بيروت، لبنان، ط1، 1978،ص22.

- سيغموند فرويد، مستقبل وهم، تر، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنانن ط1، 1974، صص47-62.

[2] المرجع السابق، ص48.

وقد أثّر "دور كهايم" أيّما تأثير في "راد كلف براون *Alfred Radcliffe-Brown*" الأنثروبولوجي البريطاني الذي قام بعمل ميداني بي سكان جزر الاندمان شرق السّاحل الهندي،وقد أصبح "راد كلف براون" الشّخصية البارزة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية في ماقبل الحرب الثانية ومابعدها ومايزال أثره محسوسا بقوة، وشارك في بريق الشّهرة والدّراسات الوظيفية مع أنثروبولوجي آخر هو "برونيسلاف مالينوفسكي" *Bronislaw Malinowski* البولوني المولد، قام "مالينوفسكي" في عمله لنيل الدكتوراه في الرياضيات ودرس الفيزياء والكيمياء أيضا، وفي أثناء استراحة من دراساته قرأ (الغصن الذهبي) لفريزر، وقد أوحى له بدراسة الأنثروبولوجيا ،وبعد مدّة من الدّراسة في لندن ذهب إلى جزر"تروبرياند" بعيدا عن سواحل غينيا الجديدة، وأمضى فترة الحرب العالمية الأولى (أربع سنوات) منشغلا بالبحث في اللّغة والتنظيم الاجتماعي والدّين والممارسات الاقتصادية، وكلّ وجه آخر تقريبا من أوجه طرق الحياة في"تروباند".

إنّ سكان جزر "تروباند" يرجعون في تنظيمات القرابة إلى الأم وقد لاحظ " مالينوفسكي" أنهم خضعوا لاختبار حاسم في نظرية "فرويد"عن عقدة "أوديب" .فالناس في كلّ مكان على وفق نظرية " فرويد" يفترض أن يعانوا من عقدة "أوديب" وقد وجد " مالينوفسكي" بين سكان "تروبرياند" الذين ينتسبون إلى الأم، العدوانية الصّبي النّاسي تكون موجّهة إلى خاله ، هو الشّخص الذي له سلطة على الصّبيويدرّبه على حياة البالغين، وأنّ أسباب شخص ودود مساعد ولايمارس سلطة على ولده، أو تكون السّلطة ضئيلة، ووجد "مالينوفسكي" أنّ التّحريم الجنسي على الرّغبات الممنوعة لايكتنف الأم بل الأخت لذا فإنّ الحقائق الاثنوغرافية الممتدة من سكان "تروبريان" الذين ينتسبون إلى الأم تدعو إلى مراجعة صارمة لنظرية فرويد السيكولوجية.

وفي الوقت الذي فسّر"دور كهايم" و"واركلف براون" السّحر والدّين بأنّهما يخدمان المجتمعات بوصفها نظامين فإنّ "مالينوفسكي" أشار إلى الطّريقة التي يمكن فيها فهم هذه الممارسات والمعتقدات كاستجابات الكائن البشري الفرد.[1]

ثانيا: الدّين ظاهرة أنثروبولوجية:"فالدّين من حيث هو،من منظور أنثروبولوجي،نسق من المعتقدات والممارسات الطقسية،مارسها الإنسان بالتّكرار بصفة فردية وجماعية، وتجلّى في سلوكاته، كما لو أنّه نزوع فطريّ وجداني واعتقاد فكريّ وسلوك حركيّ إلزاميّ منذ وجودهن وصاحبه في كلّ وجوده الفردي والاجتماعي."[2]

فالدّين في الأنساق النّظرية للأنثروبولوجيا هو:"الدّين الأنثروبولوجي،فالدّين بموصفه نسقا من المعتقدات والممارسات التّعددية خاص بالنّوع الإنساني ،وهو محور مركزيّ للأنثروبولوجيا ،فالدّين من منظور علماء الأنثروبولوجيا في عصرنا ليس إلّا من مبتكرات وإبداعات الإنسان الأوّل وأساطيره، ابتدعها يوم أن أدهشته وأبهرته بدائع الوجود من حوله، وقوّض اليوم، بفضل تقدّم الإنسان في التّمدّن ، والتّحضر ، ولم يعد للدّين وجود إلّا بشكل أخلاقي فردي، أو بالشكل الذي يعود به كمكبوت ، بل أنّ العلم قد كشف أنّ الدّين من صنع الإنسان وابتكاره وإبداعات خياله، فتخيّل الإله وأبدع تعاليمه وطقوسه وخضع لهن وتنوّعت الطّقوس واختلط مع مرور الزّمن بما ابتدعه من الخرافة والعين والكهانة، والسّحر والعرافة، إذ تعدّ معتقداتهم الدّينية من أبرز المؤثّرات التي تؤثّر على أنظمتهم الأسرية والعشائرية والاقتصادية والثقافية.

[1] ينظر إلى المرجع السابق، ص49-50.

[2] العربي بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان ، قراءة في علوم الإنسان الحديثة ومقدمات البديل ص175.

ومن ثمّ فالدّين ومن منظور علماء الأنثروبولوجيا المنقادين بصورة أو بأخرى وبصفة حتمية كما يقول"فوكو" ب" اللاشعور المعرفي" المميّز لعصرهم، ما هي إلّا وضع طارئ في حياة البشر،وتلك هي عقيدة العلم الحديث.

وتحت تاثير هذه الافتراضات الموصوفة بالعلمية والعقلانية والأنسنة والنفسنة لم يعد الدّين في السّيكولوجيا أو السّوسيولوجيا أوالأنثروبولوجيا بوصفها علوم أمبريقية [1]، تعاليم صادرة من اللّه، أو عن كائن غيبي، بقدر ماهو من إبداعات البشر، يعرقل تقدّم البشرية عند البعض- وفي اعتقادي- فهذه مجرّد تأويلات مغرضة، فمفهوم الدّين يمكن الذي استشفافه من القرآن — من حيث هو الكتاب المتمّم لما سبق- "وبأنّه آيات الله إلى الإنسان، وتتضمّن الآيات اللّغوية(الكتاب المنطوق بلغة الإنسان) من حيث هي، أي الآيات، مضمون العلاقة التواصلية بينه وبين ربه وكلاهما يشكّل مانسميه " الوحي""[2]

فالأنثربولوجيا الدّينيّة هي مدارسة معمّقة للشّعوب ومعتقداتها وكيف تعمل هذه المعتقدات في التّشكيلة الثّقافية لشخصية الإنسان في المجتمع المعني، وبالتّالي لاتشكّل الأنثروبولوجيا الدّينيّة دراسة لاهوتية، ولاتشكّل أيضا دراسة حول الحقيقة الإلهية للدّين ، بقدر ماهي دراسة لاهوتية، ولاتشكّل أيضا دراسة حول الحقيقة الإلهية للدّين، بقدر ماهي دراسة للإنسان، مايعتقد به ومايشكّل بالنسبة له حقيقة مطلقة، فالمعتقد ليس شيئا حسيّا نستطيع وصفه، فهو شيء لايعرف إلّا بما يعبّر عنه صاحب المعتقد أو مانفهمه من صاحب المعتقد نفسه.

لقد وقع الاختلاف في الآراء حول مدى التّفاعل بين الدّين والثّقافة، وهل أنّ الثّقافة تركّز على الدّيانة وأنّ الدّيانة هي أصل الثّقافة؟ أم أنّ الدّيانة هي إحدى المكوّنات لثقافة

[1] الأمبريقية: هي المذهب الذي يرى أن اصل المعرفة هو التجربة، لدى يطلق عليه أحيانا المذهب التّجريبي.

[2] العربي بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان ، قراءة في علوم الإنسان الحديثة ومقدمات البديل ، المرجع السابق، ص201.

الفرد أو المجتمع؟ ذلك لأنّ الدّيانة في لحظة ما تصبح منسوجة بالثقافة، كما وأنّ الثقافة تصبح مندمجة مع الرّؤية الدّينية ، بحيث يصعب الفصل بينهنا، وإنّ المهمّة الأولى للأنثروبولوجيا الدّينية تتمثّل في تحديد مايميّز رموز المقدّس عن الأنواع الأخرى من الرموز.

***الطقوس**: وهي كلمة يقابلها في اللاتينية *Ritus* وتشير إلى إجراءات عبادة دينية ا، بحيث تمارسه جماعة ثقافية لسلوكيات الاعتيادية لدين أوشعيرة دينية أو عادة ثقافية، أو عرفية، يؤثر في حياتها. تتميّز بكونها رمز ثقافي قويّ مثلا في احتفاليات الميلاد ، هناك طقوس وحلق الشّعر وكذلك العقيقة وغيرها.

***الطوطم والتابو**: *Tabou* مصطلح"نفسي أنثروبولوجي" يطلق للدّلالة على شيء قد يكون نبات أو حيوان يكون محلّ وتقديس من العائلة أو العشيرة البدائية. اعتقادا منها بوجود رابطة روحية خفيّة تربطها بالمقدّس الحيواني أو النباتي، والطوطم كمعرفة أنثروبولوجية يعبّر عن ظاهرة كونية أو مرحلة كونية مرّت بها الإنسانية مثلا تحمل كلّ عشيرة من قبائل هنود "أوجيرا السّاكنين في مابين أمريكا وكندا اسم "دب" أو" سمكة"أو "سنجاب" وقد وجد تشابه هذا التّقديس في ثقافات كثيرة، كما لبقرة عند الهنود.

لقد شكّلت الظّاهرة الدّينيّة محورا أساسيا وجوهريا في الدّراسات الرّائدة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، لأنّ الرّواد الأوائل لهذين العلمين في أوروبا كانوا مدفوعين بدافع البحث عن بدائل للانهيارات في المؤسّسات الدّينيّة بسبب الثّورة الصّناعية والثّورة السّياسية التي حصلت منذ منتصف القرن الثامن عشر، وكأنّهم كانوا يبحثون عن علم أخلاق بديل للأخلاق التي كانت تفرضها المنظومات الدّينية ، فالرّحالة والمغامرون والضّباط الاستعماريون كانوا يبحثون عن كلّ ماهو غريب وجذّاب وملفت للمجتمع الغربي ليركّزوا عليه ملاحظاتهم، وهكذا كان للسّحر والطّقوس الدّينية البدائية والغيبيات الحصة الأكبر .

رابعـــا: التحدّيات المتعلقة بوظيفة الدّين: يعتبر الدّين حاجة إنسانية ضرورية في حياة الفرد رغم اختلاف طبيعة وشدّة هذه الحاجة فالدّين هو ذلك النّسق من المعتقدات والممارسات التي بواسطتها تكافح جماعة الأفراد والمشكلات المطلقة للحياة الإنسانية»[1].

فهو يقدم للأفراد تفسير لمشكلاتهم واستفساراتهم وتساؤلاتهم المختلفة كما يحقّق التماسك والتّضامن الاجتماعي من خلال المشاركة في المعتقدات والممارسات الدينية.

* يحقق "الضبط الإجتماعي" فهو بمثابة القانون الذي ينظم علاقات الأفراد.

* إشباع حاجات الإنسان الروحية وتحقيق أشواقه الوجدانية فبه تسمو النفس وترتقي الروح ويتهذب الوجدان.

* تهذيب سلوك الإنسان وضبط انفعالاته والتحكم في غرائزه.

خامسا: التحديات المتعلقة برموز الدّين: «لكلّ دين رموزه المختلفة فهناك الصّليب والمصحف ونجمة داود وهناك السّجود والرّكوع وغيرها وهذه الرّموز لها قوة جبرية على الأفراد ولقد استخدمها(ك جيرتز).لتعريف الدّين وميّز فيها بين رموز صغرى ورموز كبرى:

* الكبرى تساعد الفرد على تفسير معنى الحياة وما تنطوي عليه من نظرة كونية.
* الصغرى فهي رموز تمس التفاعل اليومي وجوانب الاتصال والتعاون»[2].

ويمكن القول أنّ الأنثروبولوجيا اهتمت بالدّين فأخذت تبحث في كيفية نشأة وتطور الدّيانات ما وظيفتها؟ حيث ظهرت آراء عديدة حول الدّين وأصبح ليس مهمّا التّساؤل عن ما هو الدّين بل المهم كيف يعمل الدّين وكيف يؤثّر في الجماعات البشرية

---

[1]– المرجع السابق، ص 110، 111.

[2]– المرجع نفسه، ص 112.

وسلوكاتهم وكيف تؤثّر هذه الدّيانات في التربية الاجتماعية والثقافية لأفراد المجتمع. كيف تؤثر المعتقدات على السّلوك السّياسي والاقتصادي والاجتماعي للمجتمع؟.

* اهتموا بالطقوس الدينية وآثارها الاجتماعية كالسحر والشعوذة.

* اهتموا بالأساطير والأديان القديمة لفهم أساليب الإنسان القديم في تصوره للكون.

الخاتمــة:

مـن سـوء حـظّ الأنثروبولوجيـا الدّينيـة ، أنّهـا تناولـت في بدايـة نشـأتها مجموعـة مـن المشكلات الخاطئة / منها مسالة الأصل وتطوّر الدّين وماهيته ، حيث تمّ تقديمها على أسـاس أنّهـا فصـل مـن فصـول الأنثروبولوجيـا الاجتماعيـة، حيـث يـتمّ تحديـد التشـريعات ضمن البنيات الاجتماعية، ويشمل البحث على الوظائف الكامنة وراء هذه التّشريعات الدّينية داخل المجتمع.و تختلف الأنثروبولوجيا الدّينية عن الإثنولولوجيا وعن التّاريخ وعن علـم اجتمـاع الأديـان، بـالمعنى الـذي يجعـل منهـا محاولـة لفهـم الإنسـان بعيـدا عـن سـديم ووشـواش الأحـداث الدّينيـة، ثمّ إنّ اسـتقلالية "الحقـل الـدّيني" بالـذات مازالـت موضـع نقاش، ذلك أنّها تندرج في المجمل الأكثر اتّساعا من أنماط الفكر.

المحاضــرة رقــم (06)

الأنثروبولوجيــا الاقتصاديــة

تمهيـــد:

إنّ الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي حقل معرفي أكاديمي ظهر في غضون القرن التاسع عشر، اقتضاه البحث في أصول النّشاط الاقتصادي، من حيث هو نشاط أسري، بدأ مع بداية الأسرة البدائية كما يشير إليه مصطلح الاقتصاد العائد لغويا التي يشير معناها إلى تدبير شؤون الأسرة في الصيغة الإقطاعية، ومن ثمّة فهو بحث في كيف بدأ النّشاط الاقتصادي مع الإنسان البدائي وكيف تطوّر، وهو بحث من أجل إمكانية صياغة بدائل عالمية تستند إلى ماهو أصلي في نشاط الإنسان الاقتصادي.

أولا: المسار التّاريخي للأنثربولوجيا الاقتصادية :بدأ بحسب الدّراسات التاريخية المتخصّصة بما يمكن أن يسمّى تجميع بنك المعلومات حول النّشاط الاقتصادي، في كلّ النّماذج الثّقافية القديمة ابتداء من سلوك ما يسمى بالمتوحّشين والكشف عن نصيب العقلانية في سلوكاتهم ونشاطاتهم الاقتصادية، وهو منحى تاريخي مقارن، ثمّ تطوّر بوصفه علما،في ما قبل الحرب العالمية الثانية إلى الدّراسات الميدانية الإثنوغرافية ومقارنة نتاج بحوث السّلوك الاقتصادي البدائي بما يجري اليوم من تطبيق للنّظريات والنّماذج الاقتصادية ذات المرجعيات الاشتراكية أو الليبيرالية، ثمّ تطوّر في مابعد الحرب العالمية الثانية وفي غضون الحرب الباردة إلى البحث في ما يمكن أن نسميه أنثروبولوجيا المؤسسات الاقتصادية، حيث يتمّ بجانب دراسة سلوك أبناء القبائل في بعده الاقتصادي،

دراسة السلوك الفلاحي العالمي ودراسة المؤسّسات ، لتطور اليوم في بدايات العولمة إلى دراسة التنظيم العالمي للاقتصاد الإنساني بالرّصد والمشاهدة الاثنوغرافية."[1]

ولذلك فالاقتصاد كظاهرة إنسانية بدأت بنشاط الأسرة محدود في الزّمان والمكان، إلى تنظيمه كسلوك هادف في صيغ السّوق العالمية،وأمكن للأنثروبولوجيين من صياغة تعريف له جامع لصيغه البدائية والحديثة ،في أنّه نظام سياسي محليّ يقوم أساسا على المنزل ويمتد إلى العالم عبر السّوق، بفعل النقود كسلعة رمزية إلى صيغته الإنسانية يمارسه كلّ الناس، وبهذه الصّيغة الإنسانية انحازت الأنثروبولوجيا الاقتصادية إلى إبراز النزعة الجماعية التاريخية للفعل الاقتصادي وارتباطه بالثقافات المحلية وتنوعه رغم تأكيدات النّظريات الاقتصادية على صورة الاستهلاك والتّداول والتجارة والتسويق في الصّيغة الفوردية، فالنّاس وفي ما بعد الفوردية وما يسمى ما بعد الحداثة مازالوا -بحسب الدّراسات الأنثروبولوجية- يعملون ليكسبوا رزقهم بأنفسهم ليتغلبوا على ما تسميه الماركسية خصوصا بـ" الاغتراب" الذي أحدثه المال والنقود، حيث وضع الناس في موضع المنتجين عندما يكونون في الخارج (خارج الأسرة) ومستهلكين في الداخل، كما فصل الناس عن ماهو شخصي وربطهم بماهو خارج سيطرتهم (السوق). وقد بقي هذا السّجال بين شخصنة الفعل الاقتصادي، واعتباره نشاطا محسوبا تقف وراءه المصالح الفردية، وبين القائل باجتماعيته ومأسسته وتنظيمه تقف روراءه أفعال الإيثار والتعاون والنزوع الجمعي نحو تلطيف الأنانية الفردية، مستمرا إلى اليوم، حيث خلص الأنثربولوجي

[1] كرس هان، كييف هارت، الأنثروبولوجيا الاقتصادية، التاريخ والاثنوغرافيا والنقد، ت، عبد الله فاضل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص17، 19.

"موس" [1] وسجل بإصرار على أننا جميعا فرديون واجتماعيون في الوقت ذاته والفعل الاقتصاد مصلحي وغير مصلحي في الآن وعلى الدوام."[2]

ثانيا: اتجاهات الأنثروبولوجيا الاقتصادية: هناك ثلاثة اتجاهات أساسية في الانثروبولوجيا الاقتصادية وهي: الاتجاه الشكلي والحقيقي والثقافي.

1- الاتجاه الشّكلي: يرتبط بعلم الاقتصاد الكلاسيكي الجديد، ويعرف علم الاقتصاد على أنّه دراسة تحقيق الاستفادة القصوى من الخدمات المتاحة في ظلّ ظروف الندرة، يحاول الاتجاه الشّكلي استخدام نظرية الكلاسيكية الجديدة،لتحليل موضوعات تندرج خارج الاختصاص التقليدي لهذه النظرية، ويقوم على افتراض أنّ الأفراد يسعون إلى تحقيق الاستفادة القصوى من الخدمات المتاحة عن طريق الاختيار بين الطرق البديلة.

2- الاتجاه الحقيقي: يذهب إلى أن هناك معنيين لكلمة الاقتصاد ، أولهما المعنى الرّسمي الذي يشير إلى الاقتصاد على أنّه المنطق وراء عملية اتخاذ القرارات كاختيار منطقي بين الاستخدامات المختلفة للموارد المحدودة. أمّا المعنى الثاني الذي يقدّمه الاتجاه الحقيقي للاقتصاد فلا يفترض مسبقا أسباب اتخاذ القرار أو ظروف الندرة وإنما يشير إلى دراسة كيف يكسب الأفراد عيشهم من بيئتهم الاجتماعية والطبيعية .

3-الاتجاه الثقافي: يفترض أنّ العمليات المركزية لكسب العيش مهيكلة ثقافيا، ومن ثمّ فإن نماذج كسب العيش والمفاهيم الاقتصادية المرتبطة بها مثل التبادل التجاري والمال والأرباح يجب أن تحلّل من خلال طرق المجتمعات المحلية لفهم هذه

---

[1] مارسيل موس: هو ابن أخت دوركايم ، ومن بين أعمالهالأكثر انتشارا:"الهدية: أشكال ووظائف التبادلفي المجتمعات القديمة.

[2] كرس هان، كييف هارت، الأنثروبولوجيا الاقتصادية، التاريخ والاثنوغرافيا والنقد، المرجع السّابق، ص 212-226.

النماذج والمفاهيم. بدلا من اختراع نماذج عالمية متأصّلة في الفهم الغربي واستخدام المصطلحات الاقتصادية الغربية ثم تطبيقها على جميع المجتمعات.

الخاتمـــة:

لردح من الزّمن درس علماء الأنثروبولوجيا الحياة والمؤسّسات الاقتصادية للناس حول أصقاع المعمورة، إلا أنّ نتائج أبحاثهم وتبعاتها على الميدان الاقتصادي لم تتجاوز علم الأنثروبولوجيا ولم تكن متاحة أمام السّواد الأعظم من المجتمع، فهذه عيّنات من العلوم الأنثروبولوجية المتخصّصة استهدفت فهم سلوك الإنسان في بعده المتخصّص الدقيق، من حيث هو سلوك كثيرا ما تعذّر على الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية العامة .

المحاضـــرة رقم (07)

الأنثروبولوجيــا السياسيــة

تمهيــد:

تطرح حاليا بحدّة شديدة مشكلة إدراج الأنثروبولوجيا في الممارسة الاجتماعية ، وربما أكثر في الأنثروبولوجيا السّياسية، لأنّ هذا التخصّص يمكن أن يساعدنا على فهم التحوّلات الحالية، فالمعرفة والتمكّن العلمي من تنوع النّظم السّياسية أصبح يتشكّل بشكل مثالي أكثر ممّا هو واقعي.ونتسائل عن الموقف الذي يجب أن يتخذه الأنثروبولوجيون أمام هذه التّحولات؟ وماهو الدّور الذي تلعبه الأنثروبولوجيا السياسية؟ وما الذي ستحذفه ومن ستخدم؟ وهل هي حقل مستقل للدراسة؟

إنّ النّقاش مازال مفتوحا ولايمكن تقديم إجابات نهائية، لذلك سنكتفي في هذه المحاضرة بتقديم حصيلة موجزة عمّا علمتنا إياه الأنثروبولوجيا السّياسية عن تنوّع الظواهر التي ندرسها ، من خلال العناصر الآتية:

أولا:مفهوم السّياسة: تعرف السّياسة لغة بأنها عبارة عن معالجة الأمور، وهي مأخوذة من الفعل ساس ويسوس، وهي على مصدر فعالة ، أمّا اصطلاحا فتعرف بأنها رعاية كافة شؤون الدّولة الداخلية، وكافة شؤونها الخارجية ،وتعرف أيضا بأنها سياسة تقوم على توزيع النفوذ والقوة ضمن حدود مجتمع ما.

وتعرف كذلك بأنها العلاقة بين الحكام والمحكومين في الدولة ، وعرفت أيضا بأنها طرق وإجراءات مؤدّية إلى اتخاذ قرارات من أجل المجتمعات والمجموعات البشرية، وقد عرّفها

"هارولد" بأنّها عبارة عن دراسة السّلطة التي تقوم بتحديد المصادر المحدودة، أمّا الواقعيون فعرّفوها بأنها فن يقوم على دراسة الواقع السياسي وتغييره موضوعيا."[1]

فهي مجموعة العمليات الثقافية المستخدمة في صنع القرار للسّياسات العامة مثل (التعليمي/ الصّحي/ الصّناعي).

ثانيا:الأنثروبولوجيا السياسية: والتي تعدّ من العلوم الحديثة التي تبلورت ولمعت في القرن التّاسع عشر على يد (كلويس مورغان *Lewis.H.Morrgan* ،) وقد تأثّرت كثيرا بالدّاروينية ومن أشهر مفكريها (جورج بالانديه *George Balandier* ، بيير كلاستر *Pierre clastres* ، ميير فورتس *Meyer Fortes*،ايفانزبريتشارد *Evan -Pritchard*)

حيث اهتمت بدراسة بنية النّظم والأحزاب والبيانات السّياسية بحسبان أنّ هذه النظم هي جزء من المجتمع والحياة البشرية وتتبع تطورها في المجتمعات المختلفة ومدى تأثيرها على الأحداث والصّراعات السّياسية وعلاقتها بالتغيّرات عبر التاريخ. ولقد تجاوز هذا المفهوم مسألة حصر السّياسة في السّلطة أو الدولة وذلك بتوجيه الاهتمام إلى دراسة التنظيم السّياسي والأوضاع السّياسية وممارسات القوة والنفوذ والصّراع في المجتمع وتحليل الواقع السّياسي وآليات توزيع السلطة ودراسة الخطابات السّياسية للأحزاب والجماعات والقيام بتحليلها،وهذا مايؤكده "بلانديه" أنها تتجاوز التجارب والمعتقدات السياسية المحدّدة ،كما تنحو لتأسيس علم لدراسة السّياسة ينظر إلى الإنسان بصفته إنسانا سياسيا.

1–تطورها: اهتم الأوروبيون بالأنثروبولوجيا السّياسية ونشر كلّ من (ميير فورتس، يفانز ريتشارد) عام 1940 كتاب بعنوان (النظم السياسية الإفريقية) تناولا فيه رفض ماهو متعلّق بتفسير بناء المجتمعات على أساس التأمّل والفرضيات معتمدين على مبدأ المقارنة

[1] ينظر إلى: سميحة ناصر خليف، تعريف السياسة لغة واصطلاحا،عن الموقع الإلكتروني:https://mawdoo3.com بتاريخ 7فبراير 2016.

والاستقراء للتوصّل للاستنتاجات العامة من خلال تقسيم المجتمعات ومن ثمّ مقارنتها مع بعضها مع تفسير ارتباطها بالنّظم الاجتماعية.

وفي ستينات القرن الماضي عام 1966 تطوّر هذا الحقل بشكل مستقل ليصبح علما قائما بذاته.حيث أخذ في الولايات المتحدة الأمريكية اتجاها مختلفا عما هو عليه في أوروبا متأثرا بالماركسية ومن أشهرهم (الينور ليكوك*Eleanor Burke Leaacock* مورتن فريد *Morton Fried*).

أمّا في العالم العربي لم يلق بداية ترحيبا، لأنّ البعض نظر إليه على أنّه منتج أتى مع الاستعمار الغربي إلى البلاد العربية الإسلامية وبالتالي لايمكن الثّقة به، ولكن هذا الأمر لم يقف في وجه هذا العلم حيث أصبح من أهم العلوم التي تدرّس بالجامعات ومن أهم روادها العرب (محمد موسى محجوب /محمد ياسر شرف).وهناك من يعتقد أنّ مثل هذه العلوم ليست بالمهمّة، ولكن في حقيقة الأمر، تندرج هذه العلوم ضمن العلوم الإنسانية التي عنيت بدراسة الإنسان والتي من خلالها يمكن الانطلاق في النهضة العلمية والتكنولوجية وإغناء الفكر السياسي، حتى أن و.م.أ أطلقت عليها اسم " عقد السلوك" *The decade of Behavior* نظرا لأهميتها في الحياة الإنسانية.

الخاتمـــة:

وتجدر الإشارة أنّ الحديث في رواق الأنثروبولوجيا السّياسية يطول، وفي اعتقادي أنّ أحسن مرجع يمكن للدّارس أن يعتمده للاستفادة من كلّ تمفصلاته هو"الأنثروبولوجية السياسية" لجورج بالانديه" حيث يوضّح البناء الكامل لها ومامعناها،كما تطرّق كذلك إلى الأنثربولوجيون الأوائل والأنثروبولوجيون المسيّسون، كما تناول مناهج الأنثروبولوجيا السّياسية ويردفه بالحديث عن السّلطة والقرابة ومظاهر الدّولة التقليدية ويختمه بالحديث عن التقليد والحداثة.

المحاضـــرة رقـــم (08)

الأنثروبولوجيـــا اللغويـــة

تمهيـــــد:

إنّ اللّغة وسيط حتمي للاتّصال الإنساني، فباللّغة يستطيع الإنسان أن يجرّد هذا الوجود المادي والإنساني في خصائص وعلاقات وقوانين، وأنّ يتحقّق له الوعي بهذا الوجود، والتّحكم فيه على أساس انعكاسه في عقله، فيشكّل رموز وكلمات.

وباللّغة ينتقل الإنسان من فوضى المعرفة بعناصر الوجود إلى الإنعكاس المعجم، كما أنّ بقدر مايملك الإنسان ناصية اللّغة يكون في إمكانه خلق الاتّصال وتوصيل مايدور في ذهنه من أفكار وآراء، كما أنّها الوسيلة التي تمكّنه من التّوحد مع الثقافة التي ينمتي إليها، والارتباط عضويا بالمجتمع الذي يعيش فيه ويؤكّد العالم الأنثروبولوجي" بيير دوسل" *Birduhystell* على ذلك بقوله:" إنّ اللّغة ليست نظاما كاملا مستقلا، والحركة الجسمية ليست نظاما كاملا مستقلا كذلك، ولكنهما نمطان من النّظم الاتصالية الدنيا، وأنّهما إذا ارتبطا بكلّ الأنماط الحسّية الأخرى فإنّنا يمكن أن نصل إلى معنى النّظام الاتّصالي الحقيقي."[1]

فاللّغة هي الوعاء الذي يعبّر عن فكر من يتكلّمها وترجمة للمدارك والعقول، وتعدّ هذه المحاضرة مدخلا نظريا ومحاولة موضوعية تهدف في الأساس إلى تعريف الطالب بفرع من فروع علم الأنثروبولوجيا وهو الأنثروبولوجيا اللّغوية، والسّؤال المشروع في هذا الصّدد: كيف يدرس الباحث الأنثروبولوجي اللّغة؟

---

[1] مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية،مصر،ص137، عن
Birduhystell, Kinesics and Contesct » Body Motion communucation » V,of pennsylvania press,1970 ;p124/

أولا:تعريـف اللغــة:

1- اشتقاقها وتصريفها: يتفق "ابن جني"(ت322هـ) وأرباب المعاجم وعلماء اللغة، على أنّ اللّغة مشتقة من الفعل الثلاثي (لغى- يلغو)، إذا تكلّم و(لغي-يلغي) بكسر الغين ، يقـول "ابـن جـني":" وأمّـا تصـريفها ومعرفـة حروفهـا فإنهـا فعلّـة مـن لغـوت، أي تكلمـت، وأصـلها لغـوة ككـرة ، وقلـة ، ووثبـة، كلهـا لاماتهـا واوات....وقـالوا فيهـا لغـات ولغون، ككرات وكرون، وقيل منها لغى يلغي إذا هذى، ومصدره اللّغا."[1]

غير أنّ بعض المحدثين لهم نظرة مختلفة عن"ابن جني"، إذ يعتقدون أنّها دخيلة على اللّغـة العربيـة، علـى غرار"حسـن ظاظا"الـذي يـزعم أنهـا معربـة مـن اللّفظـة اليونانيـة" لوغـوس*logos*" والتي تعني الكلمة أو الكلام، ويقول في هذا الصدد:" ...والغريب في لفظة لغة أنّها لم ترد مستعملة في كلام عربي يعتدّ به."[2]

فهـو يعتقـد أنـه لابـد مـن وجـود شـاهد أو دليـل علـى اسـتعمال العـرب لمصـطلح "اللغـة" بمعناهـا الـذي نعرفـه اليـوم، فلـم يسـبق ذكرهـا في القـرآن الكـريم ولاحـتى في آداب العـرب المتقـدمين، غـير أننـا لايمكـن أن نجـافي ورودهـا في معـاجم اللغـة العربيـة في مـادة (لغـى- يلغو) بمعنى تحدث وتكلم، و(لغو) بمعنى لهج، وهذا دليل قاطع أنّ المصطلح له أصول عربية، حتى وإن تقاطعت معها اللّغات الأخرى في الأصوات المكونة له.

1- اصطلاحــا: يعـد تعريـف "ابـن جـني "مـن أفضـل التعريفـات الـتي جاءتنـا مـن القدامى، ويذكر تعريف لها في باب القول على مأخذ اللغة:" أمّا حدّها: فإنها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم."[3]

---

[1] أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج1، دار الكتب المصرية،ط1،2013ص33.

[2] حسن ظاظا، اللسان والإنسان المدخل إلى معرفة اللغة، مكتبة الدراسات اللغوية ، دار القلم ، دمشق، سوريا، ط2، 1990، ص120.

[3] ابن جني، الخصائص، ص33.

بمعنى أنّه ركّز على العديد من النقاط التي اعتمد عليها في تحديد مفهوم اللّغة ، فهي ذات طبيعة صوتية قبل أن تكون مكتوبة ،وأنها أداة تواصل وتبليغ يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم وحاجاتهم، فهو بذلك يبين أنّ لكلّ قوم لغة خاصة بهم، يتواضعون عليها فيما بينهم، فهي بذلك عرفية اصطلاحية.

وقد عرفها كذلك " إبراهيم أنيس" بأنها نظام عرفي لرموز يستغلها الناس للاتصال بعضهم ببعض."[1] أي أنها أصوات تواضع عليها مجموعة من النّاس وتمّ استثمارها في التّواصل فيما بينهم.ولاسبيل للتعبير إلّا بهذه الأصوات[2] ممثّلة بكلمات وجمل، وهناك ألفاظ لغوية وأخرى غير لغوية ،كأصوات الطبيعة والحيوانات، وبعض الأصوات التي تصدر من الإنسان ولاتحمل معنى كالأصوات التي تخرج من بين الأسنان "كلا فإن هناك أصوات عديدة لاتدخل في نطاق الأصوات اللغوية كالأصوات الطبيعية والحيوانية وكبعض الأصوات التي نخرجها من بين الأسنان والخيشوم، أو من أقصى الحلق، أو كالأصوات التي نحدثها بالالتواء."[3]

ومن هنا يتبين أنّ اللّغة عبارة عن مجموعة أصوات لغوية وغير لغوية، وهي عبارة عن كلّ مايجول في الفكر الإنساني، وما يحتاجه في معاشه، وقد وفق "ابن جني" في تعريفه السّابق، إذ يظهر هذا التوفيق في اختياره للفظة "يعبر"كون التعبير أعمّ وأشمل من التواصل، إضافة إلى ذلك فهناك أشكال للّغة لايقصد صاحبها توصيل فكرة معينة أو التّواصل مع الغير من ذلك الكلام الانفرادي بصورة مختلفة، كالقراءة الانفرادية بصوت عال، أو عندما نتكلم لأنفسنا، أو الغناء في مكان بعيد عن الناس....، إلا أنه لايمكننا إنكار حقيقة أنّ اللّغة في بعض الأحيان أداة تعبير عن الفكر، ومثال ذلك الأستاذ

---

[1] ابراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف ، مصر، (د.ط)،1970، ص11.

[2] للغة صور متعددة: كالإشارات بالأيدي ، وتعابير الوجه، والكتابة (أصوات غير لغوية)، ولكن تبقى الأصوات اللغوية أرقى هذه المظاهر وأدلها.

[3] عبد الغفار حامد هلال، اللهجات ، النشأة والتطور،جامعة الأزهر،مصر، ط01، (د.ت)،ص24.

المحاضر الذي يستخدم اللّغة للتعبير عن أفكاره ، كذلك الصّحفي في مكتبه ،وغيرهم ممن يعبّرون عن أفكارهم.

إذن اللّغة ظاهرة اجتماعية، سيكولوجية،ثقافية، مكتسبة، لا- كما يعتقد البعض- صفة بيولوجية لازمة للفرد،" تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختيار ، مقرّرة في الذهن."[1]

اللغة إذن- وباختصار- هي أداة الاتّصال الرئيسية في المجتمع الإنساني، لأنها هي الوسيلة الأكثر فعالية في تمكين الفرد من الدّخول في العلاقات وتفاعلات اجتماعية مختلفة مثلما هي أداته الرّئيسية في عملية تكامل مع الثقافة التي ولد فيها.

ثانيا:أصل اللغة: كيف ولماذا اختلفت اللغات وتنوعت؟: إنّ البحث في أصل اللّغة مشكلة شغلت ومازالت تشغل علماء اللغة، ولكن الشّيء الذي نستطيع تأكيده أنّ اللّغة إنما نشأت من حاجة الإنسان إلى التعاون والتفاهم مع أبناء جنسه،لذلك القول بأنّ اللّغة إنما وضعت واخترعت من فكرة الإنسان وجهوده هي أقرب إلى الأذهان.

نشأت الحضارة الأولى في العراق بين نهري دجلة والفرات وهي حضارة البشرية بعد الطوفان ولغة الناس حينئذ البابلية، وحصل أنّ الناس كثروا بعد ذاك فتفرقوا في الأرض في هجرات جماعية، طلبا للعيش وبحثا عن الرزق،وكان من أول الهجرات تلك التي كانت إلى بلاد النيل، وإلى الصين،وكونت حضارات كبرى مشهورة. وبدأ الناس يجدون في أماكنهم التي وصلوها أشياء جديدة، فيسمونها بأسماء يخترعونها، وتكون الأسماء المخترعة مختلفة بين أصحاب كلّ حضارة،وتعتمد الإضافات على أصوات مايرون ويسمعون، وبدأت تضاف مع الأيام كلمات أخرى واختصارات وألفاظ جديدة على حسب الحاجة، واشتد الخلاف مع مرور السنين.ثمّ أصبحت تتفرع من أصحاب كلّ حضارة لغات أخرى

[1] أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص25.

أيضا بسبب الهجرة والتباعد فتبلبلت ألسن الناس، هذه هي النظرية العلمية الأقوى، وعليها أكثر علماء اللغات.

وهناك أساطير مشهورة تمتلئ بها كتب التاريخ التي تقوم على روايات ولا تعتمد على الدّراسات والاكتشافات- ومنها كتب التاريخ العربية القديمة-التي يمكن اعتبارها فرضيات في هذا المجال.

ثالثا: كيف يدرس الباحث الأنثروبولوجي اللغة؟ إنّ أهم خصية من خصائص البحث الأنثروبولوجي هي دراسة الثقافة في الميدان، فالدراسة الميدانية هي عماد الدّراسات الأنثروبولوجية، والباحث الأنثروبولوجي حينما يبدأ في دراسة لغة ما فإنه يبدأفي اتباع الأسلوب الميداني في دراسة تلك اللغة، حيث إنّ اللغة ماهي إلاّ جزء من ثقافة أي مجتمع انساني.

والباحث اللّغوي الأثروبولوجي ينبغي في دراسته أن يبتعد عن البحث في البناء الشكلي للّغة في المستويات الصوتية و النحوية من غير أن ينظر إلى ثقافة الناطقين بها، فإذا رغب أن يكون وصفه متضمّنا المستوى الدلالي، فعليه أن يستعين ببعض المعلومات الثقافية عن الجماعة التي يدرس لغتها على الأخص ،إذا أراد أن تكون تفسيراته لمعنى الكلمات اكثر وضوحا، ولايحصر نفسه في وضع قائمة للألفاظ التي تنقل ترجمة قريبة لمعنى الكلمة."[1]

إنّ ضرورة نزول الباحث إلى الميدان قد تأتي أيضا بسبب فقدان المواد المكتوبة عن بعض اللّغات المختلفة، وخاصة اللّغات البدائية، لذلك يجب أن يحصل على مادته من الروّاة اللغويين مباشرة، ويتمّ ذلك من خلال زيارتهم في مواطنهم الخاصة،حيث أنّ المادة الأولية للّغة هي التعابير المنطوقة ، فإن الرّاوي اللّغوي أو الرواية اللّغوية شخص مألوف وضروري لدراسة أي لغة حية...والرّاوي اللّغوي لايعتبر مدرّسا ولالغويا، وإنما هو ببساطة

[1] المرجع السابق، ص124.

متكلّم وطني للغة،يمكنه مساعدة المسجّل اللّغوي في عمله،والباحث هنا تظهر براعته في مدى نجاحه في مباشرة الرواة وكسب ثقتهم حتى يستطيع أن يتكلم الراوي بصورة طبيعية حسب قدرته واقتناعه في الباحث الذي أمامه، ويبدأ اللغوي في أخذ صيغ كلمات مفردة على أنها معجمية ، وكلمات أخرى بغرض وصفها وعمل قوائم وتصريفات لأشكالها اللّغوية.

ونجد الرّاوي في هذه الحالة أيضا يسرد الأقاصيص،الحكايات الشخصية، ومجموعة من نشاطاته الخاصة... ويكون الراوي عند سرده لكلّ هذا واقعا في مجال خلفيته عن لغته الخاصة وعلى سجيته، فيستطيع الباحث جمع مادته دون أن يكون هناك أي تاثير خارجي يؤثّر على دقة المادة وصحتها ،وبعد ذلك يتّجه إلى معمله ليحلّل مادته تحليلا علميا من الناحية الصوتية والنحوية، ولاريب أن نجاحه في جمع مادته من الراوي ومن داخل البيئة يعتبر فصلا مهما لكلّ فحص خاص باللّغات الحية،وتجدر الاشارة أنّ التعاطي مع راو يؤدّي عمله وسط جماعة أفضل بكثير من راوي اتخذ من العزلة نهجا له.

الخاتمـــة:

صفوة القول يضطلع الباحث اللّغوي الأنثروبولوجي بدراسة اللّغة في حقلها أي كما توجد في المجتمع وعلى ألسنة أصحابها، ويعكف على محاولة الكشف عن ثقافة ذلك المجتمع، فذلك سوف يساعده كثيرا على فك شفرات اللّغة التي يدرسها وذلك من خلال الإطار الثقافي الذي تدور فيه، وأنّ محاولة فهم التأثير المتبادل بين اللّغة والثقافة سيعطيه في النهاية دراسة علمية وصفية منقحة.

المحاضـــرة رقـــم (09)

علاقـات الأنثروبولوجيـا بالعلـــوم المختلفـة

تمهيـــد:

إنّ علـم الإنسـان بفروعـه المختلفـة كمـا تطـور كعلـم غـربي يـدرس الإنسـان كظـاهرة، حسب نظر" إيفار"في مجالات ثلاث(الحياة/ التاريخ/الاجتماعيات) وهو بالتالي يتداخل ويتقاطع مع مايعرف بالعلوم الاجتماعية والإنسانية(علم النفس/ علم الاجتماع/ علوم اللغة/ واللسانيات/ علوم السياسة/ نظريات الثقافة..)، لاسيما عندما تكون هذه العلوم بصدد بحث السّلوك الفردي والمجتمعي في أنماط الحياة البدائية قبل التمدن.

وممّا لاشك أن العلوم الإنسانية ورغم محاولات علمائها حصرها في تخصّصات دقيقة أسوة بما جرى في العلوم الطبيعية ووضع حدود فاصلة بين تخصصاتها، إلا أنّ طبيعة موضوعاتها الممتدة إلى بعضها البعض،جعلها علوما متداخلة وعلائقية وتبادلية من حيث التأثير والتأثر، ذلك أنّ الظاهرة الإنسانية تعد من أكثر ظواهر الوجود المستعصية عن التحديد، لتوغلها في عمق الإنسان(العمق النفسي) وتشعّبها في بعده في المحيط الخارجي،من حيث هو محيط متشعب ومتفرع ....، وبالتالي فالأنثروبولوجيا بوصفها علم الإنسان تعدّ من أكثر العلوم العلائقية التي تتغذى منهجيا ومعرفيا من معطيات العلوم الأخرى المحايذة المستقلة عنها [1].

ومن ثمّة فهو علم غير مكتفي بذاته ويحاول أن يرسم علاقات بعلوم أخرى بقدر توسع وتمدد موضوعاته وتشابكها بموضوعات لاختصاصات أكاديمية أخرى، فماهي هذه العلوم وماهية نوعية العلائق التي تربطها بهم؟

[1] ينظر: العربي بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان ،ص76.

أولا: العلوم التي لها علاقة مع الأنثروبولوجيا: من أهم العلوم التي في علاقة تماس مباشر بالأنثروبولوجيا هي:

1- **علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:** يعدّ علم النفس من العلوم اللّصيقة بالأنثروبولوجيا،لاشتراكهما في الموضوع العام"الإنسان"وهما في علاقة تبادل للمعطيات والبيانات لايستغني أحدهما عن الآخر، فعلم النفس يختص بدراسة الحياة الشعورية واللاشعورية للفرد (الشخصية) وطرق توظيف الفرد للآليات المعرفية ،كالإحساس، التفكير، التعلم والتذكر والتخيل والتصور وكلّ مايتعلق بالحياة الوجدانية والعقلية والتكيف مع الحياة الاجتماعية،الأمر الذي يجعله في حاجة ماسة إلى الرجوع إلى المعطيات الأنثروبولوجية حول تطوّر حياة الإنسان كنوع في كلّ أبعاده ، بينما تركز الأنثروبولوجيا لاسيما الثقافية منها، اهتمامها على دراسة حياة الشعوب والسّكان كوضعيات ثقافية رمزية وإثنية عرقية متمايزة ومتغيرة ومتطورة، الأمر الذي يلزم عالم الأنثروبولوجيا الاهتمام بالشّخصية وعلاقتها بالتغير الثقافي والاجتماعي،ودور الأفراد والجماعات في ذلك، فيلجأ علماء الأنثروبولوجيا إلى علم النفس ليتزودوا بالمناهج السيكولوجية والحقائق النفسية كمعطيات، وتطورت هذه الحاجة العلائقية إلى التفكير في تأسيس مايسمى" الأنثروبولوجيا السيكولوجية"، تختص بدراسة المظاهر السيكولوجية العامة للبشر وطبيعة العلاقات والتنظيمات التي تربطهم وتؤثّر في سلوكهم وتميزهم عن بعضهم البعض، فعالم النّفس المعتمد على المعطيات الأنثروبولوجيا يتمكّن من فهم الفروق بين أنماط الشّخصية في مختلف الثقافات، والعالم الأنثروبولوجي يتمكّن من فهم"سيكولوجية الجماعات"والفروق بين المجتمعات والإثنيات والثقافات في مدى التكيف والتطور والتقدم أو الضعف والانهيار والانقراض الثقافي أو التداخل والتدامج الثقافي والانصهار، وبل

يمكن للعلم النفس من مساعدة الأنثروبولوجي على التنبؤ بحدوث الظواهر السلوكية المجتمعية من خلال معرفة اللاشعور الجمعي[1].

2 – **علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الإحياء**:وتتحدّد في أنّ هذا الأخير يفسّر لنا كيفية نقل صفات معينة عبر الأجيال ويفسّر كيفية تغييرها لتظهر صفات جديدة وهذا ماتهتم به أيضا الأنثروبولوجيا الفيزيقية خاصة من خلال اهتمامها بدراسة تطور الجنس البشري ورسم تاريخه (وفق نظرية التطور التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحية وأنواعها ووظائف أعضائها تتغير باستمرار مادامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالا جديدة قد تكون أرقى من الاجيال السابقة).

3– **علاقة الانثروبولوجيا بالتاريخ**:يرتبط علم التاريخ الأنثروبولوجيا لوجود مساحة كبيرة من ظواهر الإنسان مشتركة بينهما لاسيما وأنّ الأثروبولوجيا لم تعد تولي اهتماما فقط بالإنسان القديم، فالإنسان المعاصر له نصيب في الأبحاث الانثروبولوجية، فعلم الإنسان يعالج بالضرورة الظواهر الإنسان التاريخية بشكل عام أي يبحثون في التاريخ– بوصفه سلوك إنساني فردي واجتماعي– في أبعاده البيولوجية والاجتماعية الثقافية، في حين نجد علم التاريخ أكثر تركيزا على الأحداث والتسلسل التاريخي للثقافات وأنماط الحياة والصراع والحروب، بغرض الكشف عن الدوافع ومصير تاريخ الأحداث والتطورات...حيث يدرس المختص كذلك الحفريات وكيف تكيف الإنسان مع بيئته، وكيف سيطر على الطبيعة وكون ثقافته من خلال ماتوافر لديه من معلومات، منه نستكشف العلائق بين الأنثروبولوجيا والأركيولوجيا[2]

[1] رالف لينتون، الأنثروبولوجيا، مرجع سابق،صص32/30.

[2] ينظر إلى هيوغ أتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية،تر ، محمود زايد، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان،ص34/25.

4- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم اللغة: يمكن رصد علاقة الدراسات اللغوية بعلم الأنثروبولوجيا، من طرح الأنثربولوجيين لأسئلة الطبيعة اللغوية للإنسان ومنها تحديدا، هل للغة أصول سابقةعن الإنسان وحول هذا السؤال نشأت عدة نظريات نذكر من بينها نظرية تقليد الأصوات الطبيعية ل" عيردور" وتفيد أن الكلمات نشأت من تقليد الأصوات، واللغة نمت بدءا من هذه الأصوات الأولى. ومازالت تنمو بهذه الطريقة في تكوين الكلمات إلى اليوم، مما فسح المجال لظهور نظريات أخرى متطورة عنها كنظرية الصدى الطبيعي .ومفادها أن الإنسان المخلوق الوحيد الذي يملك ملكة في جسمه يعبر بها لغويا عن كل صوت خارجي.وقد أهملت هذه النظرية لعدم تأسيسها واعتبرها "جون ديوي"و"بياجيه" مجلرد نظريات لتفسير الظاهرة، وبعدها ظهرت نظرية لغة الإشارات التي تؤكد وجودها قبل الإنسان إلا أنها كانت إشارات من المبالغة أن نطلق عليها لغة، ولذلك استعيضت نظرية الاشارات بنظرية الكلام التي تطورت إلى مايعرف اليوم بنظريات السيمانتيكية التي تعطي اللغة بعدها السيكولوجي والغوص في طريقة استعمال اللغة وتباين ذلك بين الأفراد والجماعات ، ذلك قبل ظهور من يؤكد فطرية اللغة كنظرية تشومسكي . والواضح أن لكل هذه النظريات جانب أنثروبولوجي إن لم نقل هي دراسات أنثروبولوجية لغوية.....وأثر اللغة في الفكر تعدى أيضا إلى التأثير في الفلسفة حيث يعتقد أن الفلسفات تتأثر بخصائص اللغة، وأن اللغة يمكن أن تساعد على التجريد كما يمكن أن تعيقه، ومن ثمة فهي مفتاح معرفة التأثير في الفلسفة حيث يعتقد أن الفلسفات تتأثر بخصائص اللغة، وأن اللغة يمكن أن تساعد على التجريد كما يمكن أن تعيقه، ومن ثمة فهي مفتاح معرفة ثقافة ، بل هي مفتاح معرفة أنماط التفكير والعقل الجمعي، ذلك على الرغم من وجود من يعتقد أن الاعتماد على اللغة وحدها غير كاف وقد يؤدي إلى أخطاء، إذ أن الثقافة قد تتضمن عناصر تستوعبها مفرداتها اللغوية..[1]

[1] ينظر إلى: العربي بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان ،ص80/79.

5-علاقة علم الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع: فبحكم قدم علم الاجتماع وتطوّره في مجال بناء المفاهيم والنظريات والأنساق الفكرية ، جعله علما متفوقا على علوم كثيرة في فهم الظاهرة الاجتماعية، فهو أكثر تقدما مما أحرزته علوم الأنثروبولوجيا في فروعها المتخصصة، لاسيما الاثنولوجيا، في تصنيف الظواهر واستعمال أدوات الأمبريقية والإحصاء والتقنين المنهجي للظاهرة الاجتماعية، وفي تجريد المفاهيم النظرية المفتاحية ، وعلى الرغم من تقدم علم الاجتماع على حساب العلوم الأخرى، إلا أنّ علم الاجتماع كثيرا ما أهمل التغيرات التي تحصل في الفن والمعرفة والأنظمة الإدراكية، وهي عوامل هامة في تفسير التغير الاجتماعي ذاته، كما أهمل ماوراء القيم، وعلى كلّ لعل بروز الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي إحدى التجليات لنزعة التقارب والتعاون بين العلمين.

الخاتمة:

لاتتوقف علاقة الأنثروبولوجيا بهذه العلوم وإنما تتصل بعلوم أخرى كثيرة، كعلم السّياسة والتربية والأخلاق كما تتصل بالفنون والآداب وسنحاول أن نفصّل في العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأدب في المحاضرة اللاحقة.

المحاضــرة رقــم (10)

علاقــة الأنثروبولوجيــا بالأدب

تمهيــد:

تتبادل الوسائط المعرفية المختلفة الاستشفافات، وتعيش تناظرات دائمة في أشكالها، ووسائلها، ومضامينها، بل إنّها تتفاعل فيما بينها، وكلّ منها يعيد توظيف عناصر الآخر طبقا للسّياقات التي يراها مناسبة، فكلّ وسيط تمثيلي يتطعّم بخصائص من الوسائط الأخرى.

ولاجرم أنّ الأدب مشتل للأفكار والجمال، مشتل للواقع والخيال والأحلام، مشتل لكلّ أنّات وأهات وتطلّعات الإنسان في الحياة، يتماهى مع كلّ التمثّلات والتصورات والرؤيا للكون والعالم، فهو نقطة جذب تتقاطع فيه التلاقحات المنهجية المتعدّدة بفرز قضايا ضمن مسار الكتابة الأدبية ومنها **علاقة التحليل الأنثروبولوجي بالأدب.فماهي طبيعة هذه العلاقة؟**

أولا:البعد الأنثروبولوجي للنص الأدبي:إنّ عملية إنتاج الأدب في غاية التعقيد، حيث تتداخل فيها عدّة سياقات لأنه" يملك طريقة خاصة به لقول العالم وكذا رؤية متميّزة ، فإنّ الأدب يوجد بشكل مختلف لاكوثيقة أو كلعبة للأشكال ، مما يدعو إلى محاولة تعريفه وكذا تحديده بشكل ملائم."[1]

ترتيبا بهذا التصور ،لقد كان ضروريا أن تقارب هذه العلاقة الصعبة، بل المركبة والمتراكبة بين الأدب والأنثروبولوجيا، فلم يكن رجالات الأنثروبولوجيا يجدون صعوبة في الانتقال من الإثنولوجيا إلى الفلكلور ودراسة الآداب الكلاسيكية الشرقية أو الغربية،

[1] Reichler, claude, La Littérature comme interpretation symbolique (in) l'interprétation des textes (collectif) ; paris ; Ed. De Minuit ; 1989 ; P109.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرحّالة والمبشرين، فكانوا هم الآخرون يتوفرون في غالبيتهم على ثقافة أدبية.

وضمن هذا التّوجه يلحّ " جلبير دوران"في إحدى خلاصاته حول دراسات الأساطير،[1] على نقطة أساسية حيث يرى ،أنه على عكس المفاهيم المعتمدة من قبل الباحثين الجامعيين، لايمكن الفصل بين علوم الثقافة مثل النقد الأدبي والأدب وعلوم المجتمع." ويبدو أنّ التوجّه نحو سوسيولوجيا بدون اعتماد الجانب الثقافي للمجتمع ، أو التوجه نحو الثقافة دون تأصيل اجتماعي ودون ذلك الأساس "الشعبي"كما تمنّاه ريتشارد فانتز هو في حدّ ذاته اللامعنى المطلق ."[2]

فالقطيعة بين الثقافي والاجتماعي،غير واردة في توجّه الباحث الأنثروبولوجي، لأن الوشائج بين النصوص الثقافية والأدبية تحديدا، وبين السّياقات الاجتماعية التي أنتجتها لاغبار عليها.

- يمكن لقول أنّ الأدب كان دائما تأويلا رمزيا للواقع ، تضفي على هذا الأخير مسحة جمالية ،تجمع بين جنباتها بين"الحقيقي"و" الخيالي/ الأسطوري". ولكن هل يمكن معالجة نص روائي مثلما نعالج نص لحكاية أسطورية أوخرافية؟

لاشك أنّ اشتراك هذه الأجناس كلّها في البنيات السّردية والخطابية، يمكن أن يكون قاعدة منهجية للتعامل مع النصوص المختلفة، إنّ مايهمنا هو إماطة اللّثام عن سرّ وكيفية توظيف الأساطير.

---

[1]كانت دراسة الأساطير تنتمي – في السابق- إلى مجال علم الفلكلور والأنثروبولوجيا وتاريخ الدّيانات وعلم الاجتماع، وقدكانت هذه الاختصاصات تعطي " للموضوع معاني محقّرة، وبطيبة خاطر." لكن تطور مجال هذه الدراسات طرح إشكاليات علمية جديدة. ينظر إلى:

Pageaux. Daniel-Henri- Littérature générale et comparée ; Paris ; Amand Collin-1994.P95.

[2] Durand, , Introduction à la méthodologie, Tunis, CERES,1996 ,P182.

• استمر علماء الفلكلور في الجمع بين البحث الأنثروبولوجي والبحث الأدبي، فالفلكلور شكّل دائما جزءا من الحقل الأدبي من خلال صلته بفقه اللغة.

• إنّ الروابط التي تجمع بين الأنثروبولوجيا والأدب سرعان ما مالت إلى الفتور (في بريطانيا العظمى أكثر من باقي دول أوروبا وأمريكا) بسبب النشأة القومية التي عرفتها الأنثروبولوجيا الاجتماعية خلال فترة مابين الحربين العالميين، وفيما كان يتزايد توظيف الشعراء للجانب الأدبي في المؤلفات الأنثروبولوجية ،كان التاريخ والنقد الأدبيان يأخذان صفة أكثر سوسيولوجية ، غير أنّ الأنثروبولوجيين لم يكونوا يجمعون النصوص إلّا لما تتضمنه من قيمة أنثروبولوجية.

• لقد كانت الدّراسة الأنثروبولوجية للأدب- وعمليا لازالت- تعكف دوما على الأعمال الشفهية ،ولكن الانتقال الذي تشهده اليوم شعوب عديدة، من طور التّواصل الشّفهي إلى طور التّواصل المكتوب، ينبغي أن يشكّل مناسبة للأنثروبولوجيين أكثر من غيرهم لتحديد الآثار الجمالية والاجتماعية والتاريخية والنفسية المترتبة عن هذا التحول، فالفرصة متاحة لهم بكيفية ملحوظة كي يسجلوا بالتفصيل وفي عين المكان الترتيبات الاجتماعية لدخول عالم الكتابة ،وانطلاقا من ذلك سيتمكنون من دراسة- بمصطلحات إنسانية وواضحة- ماذا يتم عندما يملك المؤلّف إمكانية أن يكتب وينشر لجمهوره من القراء الفرديين بدلا من أن يغني أو يحكي أمام جماعة حاضرة[1] لكن أعمال الأنثربولوجيين ليست في حاجة إلى الاتّكال على الأدب الشفهي للشّعوب ذات الثقافة المختلفة عن ثقافتهم، فالأهمية التي يولونها للأدب ، شأنها شأن تلك التي يولونها للمجتمع ، هي مسالة تجربة اجتماعية كلية، وإذا كانوا يمتلكون الكفاءة الأدبية واللغوية

[1]من الأمثلة الحديثة عن أعما هذا الكجال يمكن ذكر كتاب" جاك غودي" " الأدب في المجتمعات التقليدية (بالانجليزية)، منشورات جامعة كمبردج،1968،وهناك دراسة شاملة ودقيقة عن هذا التحول، ضمن تحولات أخرى ، في التجربة الخيالية عند شعب تمت دراسته بشكل معزول، ويتعلق الأمر بمؤلف كلينيم بوريدج(تقاليد الطانغو)، بالإنجليزية،أكسفورد، كلاندون،1969.

الضرورية فلاشيء يمنعهم من القدرة على إعادة خلق هذا السّياق حينما يتعلق الأمر بآداب المجتنعات الصغيرة التي لاتجيد الكتابة.

المحاضـــرة رقـــم (11)

أنـواع التحليـل الأنثروبولوجـي للأدب

تمهيـــد:

يفـرض العلـم الأكـاديمي التحليـل الأنثروبولـوجي، المتعلـق بدراسـة الأدب الاعـتراف بشـرعنة الاخـتلاف في مضـامين المفـاهيم، لأن بينهـا مشـتركات عديـدة، فالتحليـل-في الأصل- هو ردّ الشّيء إلى عناصره المكوّنة له مادية كانت أو معنوية، في مقابل التّركيب الذي يعني إعادة بناء الأجزاء في وحدات كليّة، وينقسم التّحليل إلى تحليل تجريبي وتحليل عقلي أو رياضي.

1- **التحليـل الاجتمـاعي** يعرفـه "أحمـد بـدوي" بقولـه: " هـو فحـص شـامل للوقـائع الاجتماعية المعقّدة للتمييز بين أجزائها المختلفة وتحديد علاقة كلّ جزء بالكلّ ما ينتج عنه،وصـف منهجـي للعلاقـات الاجتماعيـة بعضـها بعـض وفقـا للتّصـنيف الشّـكلي والموضوعي."[1]

من الواضح أنّنا أتينا على علمين: علم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا وكلاهما يدرس المجتمع باتجاهاته وأدواته الخاصة، وهذا معناه أنّ ثمّة ثنائية قائمة " بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية وقد كانت تستند إلى أسباب متعدّدة، لم تعد تجد ما يبرّر استمرارها الآن لأسباب متعدّدة أيضا.ومن تلك الأسباب التي ساعدت على تأصيل تلك الثنائية في البحوث الحقلية والنّظرية التقليدية مثلا مايرجع إلى نشأة الأنثروبولوجيا العامة ذاتها كعلم عني بمشكلات معينة في الحياة البشرية أو الإنسانية لم يستطع علم الاجتماع التقليدي ، وبخاصة علم الاجتماع كما ترسم حدوده كتابات (أوجست

[1] أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،انجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان، بيروت،1977، ص381.

كونت) و(أميل دوركايم) أن يستوعب المشكلات أو ينتظم المادة الوصفية التي جاء بها الرحالة والمبشرون وضباط الإدارة الذين عملوا في شعوب المستعمرات الإفريقية."[1]

على الرّغم من نقاط التماس والاختلاف بين العلمين، إلا أنّ الأنثروبولوجيا اعتمدت على الملاحظة والمشاهدة وإعطاء التساند الوظيفي بين العناصر البنائية حقه في ممارسة التحليل والظّفر بالنتائج. وبالتالي فالتحليل الاجتماعي وحده الذي يمكّن الباحث من وضع المعاني السليمة للمفردة والمفهوم، ومن ثمة تفسيره تفسيرا سليما كما هو داخل البناء الاجتماعي.

2- **الاتجاه الوظيفي**:وهو من الاتجاهات الشائعة الاستعمال من قبل علماء الأنثروبولوجيا، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ، ويوظف عادة في الدّراسات الحقلية/ التطبيقية.التي تعتمد كلّية على الملاحظة المباشرة والمعايشة مع الناس أو المجتمع المدروس، لأنها وحدها الكفيلة بتمكين الباحث من معرفة المجتمع المدروس وذلك بوضع المعاني الصّحيحة على الوظائف التي تمارسها عناصر الثقافة البسيطة والمعقدة أو المركبة في نسقها الجزئي والكلي.

3- **الاتجاه المقارن**:يعدّ هذا الاتجاه من الاتجاهات الجوهرية، وهو شائع الاستعمال في الدّراسات الأنثروبولوجية، وله حظ الأسبقية في التكوين والتوظيف في الدّراسات الحقلية والنظرية عن غيره من باقي الاتجاهات .ويضطلع الاتجاه المقارن بمهمة إجراء دراسات مقارنة بين المجتمعات، وفي أنحاء مختلفة من العالم، معتدا في ذلك على الاستبيانات والاستمارات والإحصاء في إجراء المقارنات المطلوبة حول الموضوع المدروس من قبله بقصد الوصول إلى النتائج التي يسعى إليها."إن "بريتشارد" اعتمد في دراساته على قاعدة يرى فيها الاتجاه المقارن أشبه بالتاريخ، في حين أن "رادكليف" استخدمه في

[1]- محمد عبده، الاتجاه السوسيو / أنثربولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات ، الكويت، 1986، ص8/7.

دراساته أو قل في جوانب منها من منظور أن الأنثروبولوجيا لابد أن تنهج نهج العلوم الطبيعية."[1]

ويفيد تاريخ الأنثروبولوجيا أنّ الاتجاه المقارن استخدم استخداما واسعا من قبل الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فإن تساوت المجتمعات في طبيعة بناها الاجتماعية، فإنّ الاختلاف في الثقافة سيكون واضحا، وهذا الخلاف سيكون مثار أخذ ورد بين الباحثين.

إن اتجاهات الأنثروبولوجيا تشكّلت وتطوّرت بفعل الصّراع والحوار والاختلاف بين علماء الانثروبولوجيا والاتجاهات التي يميلون إليها، ويأخذون بها في تحليلاتهم وتفسيراتهم. و منه، سنحاول القيام بمقاربة أنثربولوجية لرواية "**سكرات نجمة**" لأمل بوشارب ونكتفي في هذه المحاضرة بوضع الخطوط العريضة للمدوّنة.

4- **التعريف بالروائية: أمل بوشارب** من مواليد الثامن أكتوبر1984 بدمشق، خريجة قسم الترجمة بجامعة الجزائر، حاصلة على ماجستير تخصص عربي – انجليزي- فرنسي، عملت بين عامي 2008 و2014 أستاذة في قسم اللغة الانجليزية بالمدرسة العليا للأساتذة آداب وعلوم انسانية ببوزريعة في الجزائر. أشرفت على رئاسة تحرير مجلة " أقلام" الصادرةعن اتحاد كتاب الجزائريين بين عامي 2013 و2014. وصفت جريد*EL Watan*)الجزائرية الناطقة بالفرنسية عام 1014 إصدارها الأول "عليها ثلاثة عشر" بالدحول المدّوي للساحة الأدبية الجزائرية. رُشحت روايتها "سكرات نجمة" عام 2015 لجائزة آسيا جبار الكبرى للرواية، ووصلت إلى القائمة القائمة القصيرة لجائزة محمد ديب الأدبية عان 2016. ويتمثل نتاجها الروائي في روايتي: سكرات نجمة 2015 ومن كل قلبي (رواية للناشئة) 2016.

[1]- فتيحة إبراهيم،مصطفى حمدي الشنواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، الأنثروبولوجيا، الرياض، 1988،ص140-141.

5-ملخص الرواية: تدور أحداث الرواية بين مدينتي تورينو الإيطالية والجزائر العاصمة، فبعد عودة الرسام "إلياس ماضي"إلى مسقط رأسه بالجزائر، بطلب من "الشيح برهان الدّين الصوفي" الذي التقاه في أحد المعابد البوذية في إيطاليا،حيث كان يبحث هناك عن دلالة رمز قديم مطبوع في ختم الجمهورية، الأمر الذي جعل الشيخ يحثه على العودة إلى أرض الوطن من أجل نشدان الإلهام ،وبعد وصوله بيومين يتعرض "إلياس" إلى جريمة قتل شنعاء حيث ظل الجميع موضع شبهة على طول الرواية وأثناء عملية السرد تستحضر الروائية عدة رموز وإشارات كالنجمة الخماسية والسداسية ورمزية الكف في الديانات المختلفة،كما أشارت إلى الماسونية وعلاقتها بالصوفية وعلاقة هذه الأخيرة بالسّحر والكابالا واليهودية .كما صوّرت أبناء الوطن الواحد وجسّدتهم بداية من "مسيو أمزيان" إلى "شينيت" و"مدام صفري" و"يما مريم"و"سهيلة"، صورتهم غارقين في الفساد فجسدت المحسوبية والغش والجشع والطمع والسحر والجريمة.

تصنّف الرواية ضمن روايات السّرد البوليسي، فهي تبدأ ككل مشهد بوليسي بوجود قتيل وأداة قتل ومشتبه فيهم وفرقة تحقيق، ثمّ توقض الروائية "بطل الرواية" ليروي لنا رحلته من لحظة الانطلاق من المطار وصولا إلى بيت جده بحي تليملي بالعاصمة، إلى أن يتمّ العثور عليه جثة هامدة شقة جده، وبعد بلوغ الأحداث ذروة التعقيد، تبدأ الروائية بفك شفرات الجريمة ، مهمّشة دور هيئة التحقيق حيث تعترف "يما مريم" بجريمتها«مازالت تتذكر ابتسامته لها هو ينظر إليها وهي تقترب منه الهوينا، لم يكن يبدوا مذعورا، وقد تعود على منظر السكين التي كانت تحملها دوما في يدها. كما أنها في النهاية يما مريم....يمَّا...لتغرز الآن السكين في صدره مرة مرتين ثلاثة وأربعة ولم يقدم هو على أي حال محاولة المقاومة. ف"يما مريم "لم تكتف بقتل "إلياس" فقط بل أرادت قطع يده حتى تستغلها في أداء طقوس سحرية من أجل السيطرة على كنتها.

في الرواية تناص مضمر مع رواية "نجمة "للروائي" كاتب ياسين" فنجمة هي فتاة جميلة تنافس على حبها أبناء العمومة في قبيلة بني كبلوت هذه القبيلة ترمز إلى الوطن، عبر من خلالها عن الاستدمار الفرنسي الذي حاول تشويه تاريخ وهوية الشعب الجزائري فنجمة هنا كانت رمزا للجزائر أما نجمة في رواية "سكرات نجمة" لم تبق تلك الفتاة الجميلة التي يتنافس عليها الشبان بل أصبحت العجوز التي ترتدي ذلك الحايك الذي لا يميزها عن بقية النفايات فنجمة هنا هي عجوز السلالم.

فرغم أنّ الجميع كان محلّ شبهة في مقتل "إلياس ماضي"إلا أنّ الأكيد هو تورط الجميع في اقتلاع روح نجمة التي كانت تتحلل خلال أطوار الرواية وتعاني سكرات الموت دون أن ينتبه إليها أحد.

المحاضـــرة رقـم (12)

تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية في رواية " سكرات نجمة" لأمل بوشـــــــــارب

أولا: العــادات والتقاليــد.

1- اللباس: يعدّ اللّباس من أهم مميزات الحضارة الإنسانية جمعاء، فهو متنوع بتنوع الحضارات والأمم، حيث يعبّر عن أصالة المجتمعات وهويتها وتاريخها، وللجزائر تاريخ عريق ومتنوع، فهناك اللّباس القبائلي والعاصمي والقسنطيني والتلمساني، والأكيد أنّ ارتداء هذه الملابس التقليدية في الأعياد والمناسبات أو حتّى في الحياة اليومية من أجل التباهي أو التعبير عن تمسك الإنسان الجزائري بعاداته وتقاليده، ولكن الأهم من ذلك هو قيمة هذه الملابس ،فهي عبارة عن سجّل تاريخي أو أداة لتخليد الذّاكرة فلكلّ لباس قصة مع الإنسان الجزائري، وقد أشارت الروائية إلى بعض الملابس التقليدية نذكر منها:

أ- الحايك: يعتبر الحايك أو اللحاف من أبرز الملابس التقليدية التي كانت ترتديها المرأة الجزائرية عامة والعاصمية على وجه الخصوص، كانت ترتديه عند خروجها من المنزل فهو وسيلة لفرض الاحترام والتقدير، فهو «لباس أبيض اللون يغطي جسم المرأة كله من الرأس إلى أخمص القدمين، تختلف طرق ارتدائه، فمنه ما يلفّ الجسم ما عدا عين واحدة، ويسمى حايك بوعوينة، أو يلبس مع العجار ويسمى اللثام[...] والحايك من الأزياء غير المخيطة ويمكن إرجاع الأزياء غير المخيطة إلى الأزياء اليونانية.»[1] فهو عادة ما يكون باللون الأبيض وهو عبارة عن قماش مستطيل الشكل تلفه المرأة حول جسدها من أجل التستر والتخفي«تمتم وهو يزيح عينيه عن جدار الجامعة الخارجي متأملا في

[1]- ثرايا نصر، تاريخ أزياء الشعوب، عالم الكتب، مصر، (د.ط)، 1998، ص16.

تلك العجوز المتلحفة بحائكها والمغروسة في تلك الزاوية من الدرج »[1]. فالغاية من ارتدائه هي التخفي والتستر فطوله «يبلغ نحو ثلاثين شبرا وعرضها خمسة عشر شبرا والنساء يتلففن به ويعلقن أحد أطرافه على الصدر ببعض الأنزيم أو الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة»[2].ويعود ارتداء الحايك إلى الحقبة الإستعمارية حيث شاركت المرأة رفقة الرجل من أجل تحقيق الإستقلال ونيل الحرية. فهي كانت تنقل الأطعمة والأدوية للمجاهدين، حيث يشير "فرانس فانون" *Frantz Omar Fanon* إلى أنّ الغاية من ارتداء الحايك كانت غاية تحريرية من الدرجة الأولى، فهو رمز من الرموزا لرافضة للثقافة الغربية الفرنسية حيث وضعت الإدارة عدة تعليمات أهمها: «إذا أردنا أن نضرب المجتمع الجزائري في صميم أجزائه وفي خواص مقاومته فيجب علينا قبل كلّ شيء اكتساب النساء، ويجب علينا السّعي للبحث عنهن خلف الحجاب حيث يَتَوارينَ وفي المنازل حيث يخفينا الرجال»[3].

وظلّ الحايك أساسي في تنقّل المرأة الجزائرية على مرّ العصور، إلا أن التغير الاجتماعي والاقتصادي جعله لايتناسب مع العصر الحالي خاصة في التنقل والحركة «سحبت يما مريم قدميها وهي مثقلة بأكياس الخضار [...]شاكرة موضة اللباس الجديدة في لا وعيها لعدم اضطرارها للبس الحايك مجدداً [...]كونة لم يكن عمليا للتسوق والحال أن "يما مريم" كانت تتلحف الحايك سابقا مثلها مثل غيرها من نساء العاصمة»[4]، فقد تغيرت الأوضاع الإجتماعية التي صاحبها خروج المرأة للعمل والدراسة، فأصبحت نسبة ارتداء الحايك قليلة مقارنة مع ما الماضي.

---

[1]–الرواية، ص 124.

[2]– رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 143.

[3]– فرانس فانون، سوسيولوجيا الثورة، ذوقان قرقوط، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص28.

[4]– الرواية، ص 28.

ب– الطربوش: وهو غطاء للرأس عادة ما يكون باللون الأحمر والطربوش «بفتح فسكون وهو غطاء للرأس عادة ما يكون باللون الأحمر والطربوش «بفتح فسكون فضم،كلمة فارسية معربة وأصلها في الفارسية سربوش، مركبة من "سَرّ" أي الرأس ومن "بوش" أي غطاء والمعنى غطاء الرأس، والطربوش من ملابس الرأس التي شاع استعمالها مع بداية العصر الحديث في بلاد الشام ومصر والمغرب»[1]، فهو منتشر بكثرة لدى شعوب شمال إفريقيا ومصر وتركيا وهو من الألبسة التقليدية«قال وهو يعدل طربوشه الأحمر القاني الذي لم يكن يجعل من منظره يبدوا غريبا على الأقل في تلك اللحظة وهو يجلس في مدخل محل تقنيات تقليدية حيث بدا شكله متناغما مع ديكور المكان»[2] فالطربوش من الملابس التقليدية التي ظل الجزائري متمسكا بها وقد تبنَّاها نتجة التأثير والتأثر مع الثقافات الأخرى.

ج– العجار:هو غطاء للرأس أو بعضه، عادة ما يكون باللون الأبيض إلا أننا نجد نوع آخر يكون لونه أسود وغالبا ما يكون شكله مربع أو دائري«...العجار الذي كان يحيط على بشيش المرأة بغزل متناه فلم يكن لصاحبة أقبح سحنة، إلا أن تتحول إلى كائن حسي مثير من ورائهوهي تخفي بمواربه تفاصيل وجهها، لتظهر بالمقابل عينيها المكحلتين الشرهتين»[3] فهو بقدر ما كان يحمل معنى التستر والتخفي، كانت له دلالة الإثارة وابراز جمال المرأة، وكان منشر في الأوساط الجزائرية لعدة أسباب حيث كانت ترتديه المرأة الجزائريه بدافع التستر والحياء ومنها من كانت ترتديه لتُخفي أفعالها الدنيئة، ومنهم من كانت ترتديه تحت تأثير الظغوطات المسلطة عليها من طرف الأهل أو الزوج، ومنه من ترتديه لتُخفي جمالها، لكنه زال واندثر في وقتنا الحالي وأصبح من التراث الذي يتغني به كل إنسان جزائري.

---

[1]– رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، مرجع سابق، ص 299.

[2]– الرواية، ص 21.

[3]– الرواية، ص 28.

2-الطعـام:

أ- الكسـكس: يعتبر الكسكس من أشهر الأطباق التقليدية الجزائرية ويعد طبقا أساسيا في المناسبات الجزائرية، يصنع غالبا من طحين القمح أو الذرة ويكون في شكل حبيبات صغيرة بيضاء اللون«"انتهت يما مريم" من تفوير الكسكسي الذي فتلته بيديها من أجل هذه المناسبة[...]بعد أن نجحت أخيرا في تزويج أكبر أبنائها»[1]، حيث كانت النسوة تقمن بفتله وتحضيره في اليوم الأول من الزفاف ثم يقدم كوجبة غداء أو عشاء للحضور. كما يقدم طبق الكسكسي في الجنائز.

وقد بدأت تتراجع قيمته في العقود الأخيرة حيث اتجه الذوق نحو تنويع الأكلات، فأصبح الكسكس يباع في أكياس مثله مثل باقي العجائن الأخرى، و يمكن القول أنه فقد قداسته نوعا ما نتيجة العولمة وحركة التأثير والتأثر والانفتاح على ثقافة الآخر.

ب- الزفيطي: الزفيطي أكلة تقليديه جزائرية تشتهر بها مدينة بوسعادة وما حولها من قرى، ترمز إلى أصالة المرأة البوسعادية«ارتبط اسم هذه الأكلة بالزفيطي منذ عشرات السنين حيث يقول بعض العارفين بتاريخ المدينة أنه موجودا منذ أسس الولي الصالح سيد ثامر هذه المدينة»[2] وبُصنع الزفيطي من خبز الرخساس المعجون بطحين القمح دون تخمير ومجموعة من التوابل «ويشكل فيها الفلفل الحار نسبة كبيرة. كما تضيف ربة البيت، الطماطم الجافة (المشرحة) والثوم والكسبر والزيتون الأخضر والماء، حيث توضع هذه التوابل في مقلاة ويضاف إليها قليل من الزيت ويمزج مع فتات خبز الرخساس داخل آنية أسطوانية الشكل تدعى بالمهراس»[3] فالزفيطي أكلة تقليدية تعدها المرأة البوسعادية

---

[1]- الرواية، ص 424.

[2]- طبق الزفيطي الأكلة البوسعادية الكثر حضورا في رمضان www.echourokonline.com، 12، أفريل 2018، 21:54.

[3]- المرجع نفسه.

وغالبا ما تكون حارة، كما أن مكوناتها بسيطة وغير مكلفة«ذلك هو خبز الرخساس الذي يُصنع منه الرفيطي ولم يتذوقه، لكنه سمع عنه من صديقة إيطالية كانت تعد كتابا عن الأدوات التقليدية المستخدمة في الطبخ في إفريقيا، ومنها المهراس، الذي كان يُدقُ بواسطته خبز غير مخمر مصنوع من الدقيق والماء فقط»[1]، فالزفيطي أكلة بوسعادية تعبر عن بساطة العيش لدى الإنسان البوسعادي حيث يرتبط اسمها بالولي الصالح "سيد ثامر"، وما هو معروف عن المتصوفة والأولياء الصالحين هو الزهد في الحياة الدنيا، لهذا نجد مكونات هذه الأكلة تمتاز بالبساطة وارتباط اسمها بالولي الصالح وهو ماجعل المرأة الجزائرية تتنافس في إعدادها، والبوسعادية على وجه التحديد هذه الأخيرة التي جعلت منها رمزاً لأصالتها.

ج– المقروض: المقروض هو نوع من الحلويات التقليدية الجزائرية، يصنع من الدقيق ومعجون التمر، تضاف له العديد من النكهات مثل اللوز والجوز والسمسم تختلف تسمياته من ولاية إلى أخرى كالمقرود والمقروط والمقروض يقدم في المناسبات خصوصا الأعراس والأعياد«وهي التي كانت تمنع أبناءها من المرور بعجينة ((مقروط المقلى)) أثناء تحضيره حتى لا يغضب وينفرط أثناء قليه»[(2)] فطرق اعداد الأكل ترتبط بالثقافة الشعبية للإنسان الجزائري.

د– الكسرة: هي نوع من الخبز ويعتبر دقيق القمح أحد أهم مكوناتها «هذه الكسرة صنعتها البارحة، قالت ((يما مريم)) وهي تضع سلة الخبز على الطاولة وهي تشعر بالإحراج، لكن هذا المطلوع خبزته اليوم»[(3)] فالكسرة هي رمز للهوية والثقافة الجزائرية، فرغم العولمة والزخم الثقافي والانتشار الواسع والسريع للعديد من الوصفات الأكلات،

---

[1]– الرواية، ص 204.

[2]– الرواية، ص 134.

[3]– الرواية، ص 197.

إلا أن مكانة الكسرة وقيمتها الغذائية لم تتغير على مر العصور، حيث تنفرد بإعدادها المرأة الجزائرية دون سواها.

ثانيـــا: المعتقـدات الشعبيـة.

1- **المعتقدات الشعبية المرتبطة بميلاد الأطفال:** رغم التطور الذي يشهده العالم بصفة عامة، إلا أنه هناك بعض المعتقدات تبقى ثابتة ومتجذرة في المجتمعات كما تحمل نوعا من القداسة، والمعتقد هو« أول أشكال التعبيرات الجمعية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى

حيز التأمل الذهني»[1].

أ- عادة القماط: وهي عادة قديمة تقوم على لف المولود الصغير بالقماط، حيث يكون هذا الأخير باللون الأبيض وكانت عادة القماط لا تزال منتشرة في الأسرة الجزائرية، وقد ظهرت في بداية الأمر لحماية الرضيع من البرد وحتى تساعده على النوم وكان الاعتقاد السائد هو إذا رأى المولود ذراعيه فإنه يخاف ويفزع منها«أعلمي أن العالم مقسم إلى خمسة أقسام، قالت وهي تدس الخامسة بين الثنايا البيضاء لقماط الطفل الذي لم ياجاوز عمره الشهرين»[(2)]. فظاهرة القماط كانت لها مرجعية اجتماعية وثقافية حيث غذته عدة معتقدات تختلف من مجتمع إلى آخر، فكانت بهدف حماية الأطفال وتقوية عظامهم وتحقيق راحتهم.

ب- تسمية المولود: يعتبر الاسم أجمل هدية يتقدم بها الآباء إلى الأبناء، وللاسم دور كبير في تكوين شخصية الإنسان، لذلك فهو من الأمور التي يجب الانتباه إليها لأنه

---

[1]- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، (دراسات في الميثيولوجيا والديانات المشرقية)، منشورات دار علاء، دمشق، سوريا، ط1، 1979، ص 164.

[2]- الرواية، ص 26.

يرافق الإنسان من لحظة ولادته إلى غاية وفاته«وللاسم الذي يطلق على الطفل خواصاً لها تأثيرها على مستقبله حسب الاعتقادات الشعبية، حتى أن البعض يذهب في اعتقاده إلى أن الروح لا تدخل في الجسد إلا بعد التسمية، فالاسم والوجود الروحي شيء واحد»[1]، وغالبا ما تكون الأسماء مستمدة من المجتمع والدين الإسلامي و في بعض الأحيان يتم تغيير الأسماء لحماية المولود من السحر والعين أو من الموت«...((لا تزال يما مريم)) إلى اليوم تحتفظ في ذاكرتها بتلك اللحظات التي خضع فيا شقيقها الصغير لتلك الجلسة السحرية الغامضة، حيث غيرت له والدته اسمه على إثرها من محمد إلى خميسي نزولا عند رغبة فضة المسخوطة، وذلك حتى لا تفقده مثلما فقدت سابقا أربعة من أشقائه الذكور الذين كانوا يتسابقون على الموت قبل عامهم الأول»[2]كما أن هناك بعض الأسر تختار لأولادها أسماء دينية مثل: محمد وعلي وإسحاق وعبد الله وفاطمة وآمنة. وهناك من يختار أسماء مثل: يحي وعيشوش وعيشة والشيخ، وهذا لاعتقادهم بأن الاسم يحمي صاحبه من الموت.

ولكن في وقتنا الحالي ونتيجةً لآثار الغزو الثقافي وتأثير وسائل الإعلام والاتصال نلحظ تغيرا في قائمة الأسماء، حيث أصبحت أسماء المشاهير من فنانين ولاعبي كرة القدم تطغى على المجتمعات العربية والجزائرية.

ج- العقيقة: تعد العقيقة من أبرز المعتقدات الخاصة بميلاد الأطفال «فهي الذبيحة عن المولود وهي مأخوذة من العق وهو :القطع، لأن الذبائح يقطع أوجادها، وما يجب أن يقطع في حال الذبح، وهي سنة للمولود، لذكر اثنتان وتجزئ واحدة وللأنثى واحدة،

---

[1]- عبد الحكيم خليل سيد أحمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 41.

[2]- الرواية، ص 27.

والسنة أن يكون ذبحها في اليوم السابع من ولادته»[1]، فهي عادة ما تكون في لبيوم السابع من ميلاد الطفل حيث يتم ذبح الشاة وكذا عقيقة الشعر أي تحليقه«كان المصعد معطلاً منذ أسبوع بسب حمولة زائدة فيه تمثلت في وضع كبش باتجاه إحدى الشقق التي احتفل صاحبها بعقيقة ابنه، فذبح خروفا بالمناسبة»[2] وهي من عادات الإنسان الجزائري الذي لا يتأخر في إحياء كل ماله علاقة بالموروث الشعبي والدين الإسلامي.

2- المعتقدات الشعبية المرتبطة بالعين والحسد:ترمز العين في العديد من الحضارات إلى المعرفة والاستبصار كما تحضى بنوع من التقديس والتعظيم، حيث أولى لها الفرد أهمية كبرى خاصة عندما تكون هذه العين شريرة وحاسدة، تتمنى زوال النعم«فهي تؤثر في الدين وفي الأخلاقوفي الحيوان والنبات والجماد، تؤثر في التجارة والرزق والعلم ..»[3]، فالعين تنطلق نحو الأشياء فتصيبها بالدمار والخراب، وإن أصابت الإنسان تميته.وقد استُعمِلت العديد من الأغراض لتحصين الجسد من العين والحسد فمنها :

* الخامسة وهي:نموذج معدني مصغر ليد الإنسان وهي مبسوطة «أتخيل الغيرة التي أثرتها في قلوبهن أمس [...] لقد كنت فعلا الأروع على الإطلاق : لابد أن تعلقي خامسة على صدرك لحماية نفسك من الحسد»[4]، والخامسة تقليد تراثي لدرء الحسد والعين وهي تتطابق مع أصابع اليد، والرقم خمسة له معاني مختلفة من مجتمع لآخر، مثلا في« أمريكا اللاتينية وبالضبط في مدينة "مايا"فالرمز خمسة مقدس يرمز إلى الذرة وهو رمز

---

[1]-عبد العزيز بن باز وآخرون، فتاوى أحكام العقيقة، دار الإخلاص والصواب، وهران، الجزائر، ط1، 2014، ص 9.

[2]- الرواية، ص 147.

[3]- الشيخ خالد الحبشي، الحسد والعيون وشفاء المعيون، جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ص1.

[4]-الرواية، ص 260.

الاتحاد الإرادي للألهة وعند العبرانين فإن أسفار موسي عليه السلام في التورات هي الأسفار الخمسة الأولى »[1]، أما عند المسلمين فالرقم خمسة يرمز إلى السور التي تبدأ بالحمد لله وهي: سورة الفاتحة(الحمد لله رب العالمين) وسورة الأنعام(الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض) وسورة الكهف (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)وسورة سبأ(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض)وسورة فاطر(الحمد لله فاطر السموات والأرض)...»[2].

وغالبا ما تُستعمل بعض العبارات لدرء الحسد والعين مثل" عين الحاسود لا تسود" أو كما يقال "خمسة وخموس" «تأملت بحنو عينيها الخضراوين الممتزجتين على حواف بؤبؤيها بلون البندق "خموس وجبريل على بنيتي....حموس وجبريل»[3]وكثيرا ما نجد رمز الخامسة في القلادة حيت ترتديه المرأة الجزائرية لرد العين و الحسد،كما تُوضَع للطفل الرضيع حتى تحميه من الحسد « قالت وهي تضع الخامسة الفضية بين الثنايا البيضاء لقماط الطفل»[4]ومن المعتقدات الشعبية التي يمارسها الإنسان الجزائري لدرء العين والحسد هو وضع عجلات مطاطية سوداء اللون فوق أسطح المنازل والعمارات.اعتقاداً منه بأن لهذه العجلات القدرة على طرد الحسد والعين.

* الزغاريد: وغالباً ما تكون في الأفراح والمسرات كالزواج والنجاحات«يو يو يو يييييي، وانطلقت الآن الزغاريد التي تشبه النداءات البدائية، والتي كان لها مفعول إبعاد العين بحسب التقاليد الشعبية، ((مرحبا بيكم)) قالت يما مريم وهي لا تفكر في تلك اللحظة سوى بفرحتها وفرحة ابنها»[5] فالزغرودة لطالما ارتبطت بالأفراح والأعراس، أما

---

[1]– جان صدفة، معجم الأعداد، رموز ودلالات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 120.

[2]– المرجع نفسه، ص 122.

[3]– الرواية، ص 146.

[4]– الرواية، ص26.

[5]– الرواية، ص 427.

نشأتها«فتعود إلى تقليد وثني قديم حيث كان الغناء للآلهة يتم بصورة جماعية من نساء مختارات، يقمن بطلب الغوث والرحمة وسقوط المطر ونحو ذلك»[1]، فهي لها مرجعية دينية ترتبط بالآلهة.

وقد وردت لفظة الحسد في كتاب الله عدة مرات ومنها قوله تعالى﴿**قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد**﴾. **سورة الفلق.، الآيات: [1-5].**

وهذا ما يؤكد حقيقة وجود الحسد وأنه موجود منذ القدم، وليس من أساطير الأولين.فالعين والحسد منتشران في المجتمعات على اختلاف توجهاتهم الفكرية والثقافية، لكن التصدي لهما يكون بالرقية الشرعية وقراءة القرآن وليس بتعليق التمائم أو الرموز التي يعتقد أنها تستعمل لرد العين والحسد ومن الرموز الخاطئة التي تؤدي إلى الشرك بالله نذكر«...العين الزرقاء وخمسة وخميسة التي تكتب فيها آيات قرآنية لتظليل الناس، وهناك فتاوي بعدم جواز تعليقها حتى لو كانت من القرآن»[2] فالخوف والقلق النفسي الذي يكابدهما الإنسان يجعله أكثر عرضة لتقبل معتقدات شعبية بالية والإيمان بقوة الرموز المتعددة والمختلفة لردعها.

ثالثا: الزواج. الزواج هو العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة من أجل تكوين أسرة، فالأسرة هي النواة الأولى واللبنة الأساسية لبناء المجتمع، وقد حث الله عز وجل على الزواج في العديد من الآيات حيث يقول تعالى ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾. **سورة الروم ، الآية[21]**

---

[1]– علي القيم، ملامح من الزغرودة في التراث الشعبي السوري، مجلة باحثون،دمشق، سوريا، 2011، ع44، ص 03.

[2]– الشيخ خالد الحبشي، الحسد والعيون وشفاء المعيون، مرجع سابق، ص 19.

والزواج ظاهرة اجتماعية تلازم كل المجتمعات البشرية، لكن بطرق مختلفة «ففي بعض الجهات لابد للمجتمع من قصة حب قبل الزواج، بينما تحرم مجتمعات أخرى الزوال هذا الشعور ويعتبر ذلك خارجا عن الأدب والتقاليد، في هذه المجتمعات الأخيرة يعتقد الناس أن الزواج لا يكون ناجحا إلا إذا كانت لدى الزوج القدرة على الإنفاق على زوجته، وإذا كانت الزوجة قادرة على رعاية البيت»[1] فالسائد منذ القدم هو أن عملية اختيار الزوجة تكون من طرف والد الزوج ولا تكوم هناك فرصة لتدخل الزوجبن على اعتبار أن الوالد صاحب خبرة كبيرة في الحياة وكانت عملية الاختيار خاضعة لشروط أهمها النسب والجاه والسمعة والأخلاق إلا أن الشرط الأساسي يتمثل في مدى إتقان العروس للأعمال المنزلية ومساعدتها لزوجها في مختلف الأمور، ولكن نتجة التقدم العلمي والتكنولوجي وما صاحبه من تغيرات اجتماعية وثقافية وكذا الشعارات التي تنادي بحرية الرأي والمساواة بين الرجل والمرأة وخروج هذه الأخيرة للعمل واعتمادها على نفسها أصبحت أكثر حرية واستقلالية في اختيار شريك حياتها حيث أصبح للمرأة حرية القبول أو الرفض ذلك أن الزواج حرية شخصية .

«... هناك من يصنع خبزا مدورا بكميات قليلة لكنه غير تقليدي،عجينة عادية مخمرة بضعف سعر الباغيت لمجرد أنها مدورة. لكن الخبز التقليدي هو حتما غائب في المخبزات ...وبنات اليوم يا حسرة، لا يحسن في أغلبهن الخبز...ولايعرفن شيئا، ولا يفكرن سوى في المكياج...وهديك اللبسة»[2]، ومع تغير الظروف تتغير معها المطالب والشروط حيث أصبحت مطالب الزوج؛ التعلم والأخلاق والسمعة، أما مطالب الزوجة فأصبحت؛ السكن الخاص والإستقلال في إدارة شوؤن منزلها« وزيد بالزيادة كل وحدة راهي تشرط الدار وحدها كي يجو يخطبوها...ودركا راهم يزوجوا بالشناوة مصفرات الوجه

[1]–مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع العائلي، (د.ن)، المنصورة، مصر، (د.ط)، 2008، ص 97.

[2]– الرواية، ص 204.

خلاص راحت الحشمة»[1]، ومهما اختلفت الأراء وتعددت التوجهات تبقى الأسرة الجزائيري محافظة على عادات الزواج التقليدية من الخطبة إلى غاية صباح العروسة مرورا بحفلة الحنة وحفل الزفاف «...كان ذلك يوم فطور العروسة أول عروس تدخل بيتها بعد أن نجحت أخيرا في تزويج أكبر أبنائها»[2]وهي عادة يحتفل فيها أهل العريس مع أهل العروس حيث تقام وليمة تذبح فيها شاة غالبا، يفتخر فيها العائلتين بشرف العروس وعذريتها، وإن كانت تختلف هذه العادات من مجتمع لآخر إلا أن المشترك والثابت هو الاحتفال بعذرية الفتاة.

رابعا: الجريمة والقتل ترتَكَبُ الجرائمَ نتيجة لعدة أسباب منها ماهو اجتماعي ومنها ما هو نفسي، فالظروف الاجتماعية القاسية من فقر وحرمان هي التي تدفع بالإنسان إلى ارتكاب الجرائم، والجريمة بمعناها الواسع هي «هي كل مخالفة لقاعدة من القواعد التي تنظم سلوك الإنسان في الجماعة وهي في جميع الأحوال سلوك فردي يتمثل في عمل أو تصرف مخالف لأمر فرضته القاعدة[...]. ومن الناحية الشرعية هي كل عمل أو قول خالف شريعة الله تعالى ورسوله الكريم، سواء بفعل ما نهى الله ورسوله عن فعله أو الامتناع عن ما أمر الله ورسوله بفعله»[3]وعادة ما يكون للمجرم صفات وتصرفات تميزه لكن هناك من يتستر وراء جريمته، ولا تظهر عليه صفات الإجرام فنجد القاتل يتفنن في جريمته ولا يترك خلفه أي دليل فشخصية "يما مريم" في الرواية لا تظهر عليها صفات الإجرام والكل يحترمها«كيف لا وهي التي كان يحلف الجميع بحياتها ويتقرب الجميع منها ناشدا رضاها متبركا بدعواتها، كيف لا وقد كانت هي أم الصغير والكبير ..، وقد أضاف ذلك الخمار الأبيض الكثير من الطهارة على شكلها لتحصل عن جدارة

---

[1]- الرواية، ص 205.

[2]- الرواية، ص 424.

[3]-سعيد الحسن عيدولي، ميكرو سوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسات السحرية والشعوذة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، ع05، 2014، ص 18.

واستحقاق لقب يما»[1]. فبفضل خبرتها وعملها في مجال التنظيف طوال حياتها استطاعت أن تغطي جريمتها وتستر عليها «وقبل أن تذهب حرصت على تنظيف المكان من أي أثر قد تكون تركته وراءها. لم تنس أنها خادمة سابقة لم يكن يسمح لها أن تخرج من أي شقة دون أن تتركها تلمع من ورائها»[2]. إلا أن الظروف القاسية جعلت من "يما مريم"مجرمة بامتياز«كان كل شيء في ذلك المكان يُنبئ أن الأمر لا يتعلق على الإطلاق بجريمة قتل عادية، وشعر إبراهيم الآن وهو يتأمل وجه القتيل وكأنه يقف أمام جريمة من نوع آخر، موت من نوع آخر إذ لم تكن تعابير وجه المجني عليه تشي بأنه كان يشعر في لحظاته الأخيرة بالفزع ولا حتى وضعية رأسه كانت توحي بأنه عاش لحظاته الأخيرة كأي قتيل عادي»[3]، أي أن المجني عليه تعرض للغدر من طرف القاتل «مازالت تذكر ابتسامته لها وهو ينظر أليها وهي تقترب منه الهوينا، لم يكن يبدوا مذعورا وقد تعوّد على منظر السكين التي كانت تحملها دوماً في يدها كما أنها في النهاية يما مريم...يمّا...لتغرز الآن السكين في صدره مرة مرتين ثلاثة و أربعة...ولم يقدم هو على أي محاولة للمقاومة»[4].

فالظروف الاجتماعية القاسي التي تعاني منها عائلة " يما مريم" جعلت منها مجرما بارعا دون رحمة«تنهدت يما مريم وهي تفكر أن مسلسلها اليومي لم ينته مع ذلك بعد، كونها لا تزال مضطرة للطهي لأبنائها التسعة الذين لابد أنهم كانوا لايزالون نائيمين في هذه الساعة. فكرت بحنان وهي تتأسف على حال أبنائها الذين لم يتمكن أحد منهم من الحصول على عمل لائق لحد الآن وهم في هذه السن، وقد كان ابنها الأكبر يتجاوز

---

[1]– الرواية، ص 424.

[2]– الرواية، 426.

[3]–الرواية، ص 09.

[4]– الرواية، ص 425.

الأربعين سنة...لا عمل لا زواج»[1] فالظروف القاهرة هي التي غيرت من شخصية "يما مريم" فأصبحت أكثر عدوانية وغدراً، فالإنسان لا يولد مجرما بل الظروف هي التي تجبره على ذلك، فالظروف التي تعاني منها عائلة" يما مريم"هي التي جعلتها تقوم بقتل" إلياس"عند عودته إلى الجزائر وذلك حتى توفر شقة جده لأحد أبنائها، فقررت التخلص منه وقتله بكل برودة دم.

خامسا : الهجرة: عرف الإنسان الهجرة منذ القدم، وكان ذلك نتيجة لعدة أسباب أهمها الظلم والاستبداد بالإضافة إلي الكوارث الطبيعية كالجفاف والتصحر، ثم تطورت الحياة تدريجيا وأصبحت الغاية من الهجرة في وقتنا الحالي هي البحث عن مجتمع يحقق الراحة والأمن والحرية ولذلك أضحت الهجرة أهم شكل من أشكال الرفض وعدم قبول الواقع والمجتمع، وقد عرف الإنسان الجزائري الهجرة منذ القدم كغيره من شعوب العالم، لكن بلغت أوجها بعد الاستقلال مباشرة «وقد كان المهاجرون الجزائريون يتمتعون إلى غاية نهاية الستينات بوضع تفضيلي مقارنة بغيرهم من الجنسيات فيما يتعلق بشروط الإقامة في فرنسا الأمر الذي كان يغري الجزائرين بالهجرة إلى الضفة الأخرى»[2] فنتجة للظروف الاغرائية التي تقدمها الدول الأوربية عامة والفرنسية على وجه التحديد، شجعت الجزائرين على الهجرة.

إلا أن الهجرة بدأت تتضاءل مع بداية السبعينات «في بداية السبعينات بدأ الشعور باللأمن يسيطر على الأوساط الجزائرية المهاجرة بفرنسا، خصوصا مع تنامي العنصرية ضدهم»[3] فنتيجة تحقيق الاكتفاء الذاتي بالنسبة للدول الأوربية قامت هذه الأخيرة بوضع قوانين صارمة وشروط عديدة يجب أن تتحقق في المهاجرين« لم تكن

---

[1]– الرواية، ص 31.

[2]– الرواية، ص 199.

[3]– الرواية، ص199.

"الزلزومية" هي من عرقل فقط حياة إسحاق باعتقاده، بل والده الذي كان يمنعه من طلب التأشيرة من أجل الهجرة»[1] وقد أصبح العمل من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في المهاجر فبعدما كانت الدول الأوربية تبحث عن يد عاملة من أجل تطوير اقتصادها،وأصبحت الأن تبحث عمن يساهم في دفع عجلة نمو الاقتصاد الأوربي، وهي أهم مميزات تفكير الإنسان الغربي الذي يقدس العمل«فكر إسحاق وهو يشعر بالاستياء من والده الذي كان يُطلق عليه اسم الرجل القديم وهو يتذكر أن أباه لا يريد لحد الآن التصريح به في مصالح الضمان الاجتماعي كعامل عنده، حتى لا يكتمل ملف طلب التأشيرة الذي من شأنه أن يخوله للفرار من هذا البلد»[2] .كل هذه الشروط التي وضعتها الدول من أجل التقليل من الهجرة والقضاء عليها، فتحت باباً آخر وهو الهجرة غير الشرعية، حيث يتبع المهاجر طرق غير شرعية رغبة في تحقيق حلمه والوصول إلى الضفة الأخرى، ويخاطر بحياته من أجل تحقيق أحلامه الوردية، فيتحقق حلم البعض في الوصول، ويفشل البعض الآخر ويكون الرجوع هو الحل الأنسب بأقل الخسائر، أما البعض الآخر يفشل فيكون وجبة لأسماك القرش وكل هذا ما دفعنا إلى التساؤل عن الأسباب التي تجعل الإنسان الجزائري يقدم على المخاطرة بحياته؟. لكن يمكن القول بأن أهـــم الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الهجرة هي:

* البحث عن الأمن والاستقرار وهذا ما عبّر عنه الإنسان الجزائري خلال العشرية السوداء«...وعلى الرغم من أن الكثير من أصدقاء سي بن هارون هاجروا خلال العشرية السوداء التي عصفت بالجزائر إلا أنه هو بقي متشبثا بمكانه»[3] .

---

[1]– الرواية، ص 402.

[2]– الرواية، ص 164.

[3] الرواية، ص 164.

*البحث عن الذات المفقودة والهوية المجزأة الرافضة للبلد الأصلي، حكومة ودولة وشعبا «جلس على طرف القارب وهو يتحاشى النظر خلفه....سينطلق القارب بعد قليل وسوف يتخلص عن قريب من حياته، حياته البائسة التي لم يكن نادما على تركها خلفه...سيترك أمه سيتركها لإخوته...»[1] ويسعى هو لتحقيق حياة أفضل خالية من البؤس والحرمان.

*البحث عن العدل والمساواة «أين هي أمه؟ بدا الطفل تائه فلطالما كانوا هم أبناء أمه المفضلين أما هو كان ابنها وكفى. وكان يحبها حبا غير مشروط لأنها كانت أمه وكفى...كانت أمه أماً لثلاثين مليون غيره من الاستقلاليين والوصوليين والوزراء والمسؤولين والمتزلفين والعسكريين والمجاهدين والمزورين والفاسدين والنصابين أين كان يمكن أن يحضى به وسط هؤلاء أبنائهم وأصدقائهم وأصدقاء معارفهم»[2]، فالإنسان الجزائري يرفض كل أشكال الظلم والاستبداد والقهر، فهو يقدس الحرية والعدل ويجعلهما من مكملات هويته الشخصية.

* انتشار التهميش والبطالة وتهميش المثقف «...يرجو أن ابنه على التأشيرة[...]لا يريد أن يحصل لابنه ما حصل مع صديقه عبد الله وهما اللذان كانا يشتركا في حبهما للقراءة...وحبهما للتفكير... لم يكن لابنه أن يموت مقهورا أو يموت منسيا مثل عبد الله»[3] فعبد الله كان عبارة عن موسوعة متنقلة إلا أنه مات منسيا مقهورا، وهذا ما جعل سي بن هارون يسمح لابنه بالهجرة رغبة وأملا في تحقيق حياة أفضل. فالظروف الاجتماعية القاسية من ظلم وتعسف وغدر وانتهاك للحقوق هي التي تبعث في الإنسان حب الهجرة والبحث عن حياة أخرى سهلة خالية من البيروقراطية.

---

[1]- الرواية، ص 400.

[2]- الرواية، ص 400.

[3]- الرواية، ص 423.

سادسا: الكتابة الجدارية. تعتبر ظاهرة الكتابة الجدارية من أقدم الظواهر الإنسانية، وقد ظهرت مع الإنسان البدائي الذي عبّر من خلالها عن مختلف مظاهر حياته اليومية، فرسم الحيوانات والآلات البسيطة التي كان يستخدمها فجعل من الكهوف والمغارات مكانا للتعبير عن آماله وتطلعاته، فجسد مختلف الظواهر البيئية والطبيعية، مثل الحضارة المصرية على ضفاف النيل والرسومات الموجودة في جبال الهقار والطاسيلي بالجزائر، أما اليوم فيطلق على هذه الرسومات بالكتابات الجدارية أو الشعارات فأصبح هناك مؤسسات خاصة تسعى إلى الاهتمام بهذا النوع من الكتابات وأصبحت هذه الأخيرة محل جدل ونقاش كبيرين، فعادة ما تكون عبارة عن نقوش ورموز أو عبارات وتظهر أكثر عند الشباب، الذي يطرح ويمرر من خلالها عدة رسائل فتكون لطرح شكاويهم أو لملأ الفراغ لديهم أو تعبيرا عن أحلامهم وطموحاتهم، «فالكتابة الجدارية كيفما كان شكلها رمزية أو مقروءة أو على شكل رسومات أو كاريكاتور، تعتبر دالة بذاتها تفيد فكرة محددة وتعبِر عن موقف أو رأي فردي أو جماعي موجه إلى الناس عامة أو إلى جماعة أو فئة مقصودة تتضمن معنى يمكن استخلاصه»[1] وهي ظاهرة اجتماعية يقوم بها أفراد المجتمع حيث يشكلون جزءاً من تراثه الفكري والثقافي وغالبا ما تكون هذه الفئة من الشباب الذي يعاني الفقر والبطالة والتهميش «ياكلني الحوت وما ياكلنيش الدود»[2] فهذا تعبير عن الرغبة في الهجرة وتفضيل الضفة الأخرى عن الوطن الأم الذي يعاني فيه التهميش والفقر والحرمان.

كما تعبر الكتابات الجدارية عن تطلعات الفرد، السياسية والتوجهات الفكرية والمذهبية مثل «انتخبوا القائمة45»[3]، كما تعبر عن جملة الصراعات والاحباطات

---

[1]– منصور مختار، الإعلام الرسمي والإعلام غير الرسمي، الكتابة على الجدران أنموذجا، رسالة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2003. ص181.

[2]– الرواية، ص 11.

[3] – الرواية، ص 11.

والمشاعر المتناقضة التي تنتاب الإنسان، هذا الأخير الذي يجعل منها ممراً للتنفيس والتعبير بكل حرية عن كل ما هو ممنوع (الطبوهات) من جنس ودين وسياسة ونظام «روما ولا نتوما»[1]فهي عبارة تدل على الظلم والقمع الذي يكابده الإنسان الجزائري نتيجة انتشار البيروقراطية والجهوية.

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى نتائج من أهمها:

* أدى التطور العلمي والتكنولوجي وما صحبهما من تغيرات على الخارطة الاجتماعية والثقافية والسياسية، إلى تغير بعض المفاهيم لدى الإنسان.

* تمسك الإنسان بالطرق البالية في مواجهة العين والسحر.

* الفقر والبطالة من أهم الأسباب التي تؤدي إلى شيوع ظاهرة القتل والجريمة.

* تمسك الإنسان الجزائري بهويته وأصالته.

* العدل والمساواة والحرية من أهم مبادئ الإنسان الجزائري في الحياة.

تقوم رواية "سكرات نجمة" على الروحانيات، حيث لجأت الروائية إلى توظيف معلومات عن التيارات الدينية والحركات السرية العالمية، كالماسونية والصوفية وعلاقتها باليهودية والكبالا أو ما يعرف بالقبّالة. فاستحضرت رموز مستقاة من الحضارات الشرقية، كالحضارة المصرية والحضارات الغربية الأوربية التي تداخلت فيما بينها لتنسج خيوط سير الحبكة الروائية فأثثت للجزائر العاصمة وجعلت منها مسرحًا لجريمة غامضة راح ضحيتها شاب في مقتبل العمر، عاد إلى وطنه من أجل

نشدان الإلهام.كما اعتمدت على عدة رموز، تنوعت بين الرموز التاريخية والتراثية والدينية .

[1] الرواية، ص11.

المحاضـــرة رقـم (13)

تجليات الأنثروبولوجيا الدّينيّة في رواية "سكرات نجمة" لأمل بوشارب

مـن أهـم الرمـوز الدّينيـة في الروايـة نـذكر: النجمـة الخماسـية والسداسـية والشـمعدان...إلخ كما عرّجت إلى المعتقدات الدّينية التي تعبّر عن تفاعل الإنسان في العالمين المرئي وغير المرئي وتعامله مع العناصر ما فوق الطبيعة، كالسحر والشعوذة، وأشارت أيضا إلى المعتقدات الخاصة بفكرة الموت والحياة الثانية، وفي مايلي نشير إلى أهم المضامين الدينية التي أشارت إليها الروائية من خلال هذا النص الروائي.

أولا– المعتقـدات الدينيـة:

1– المعتقدات المتعلقة بالسحر: يعتبر السحر من أهم الظواهر التي شغلت الإنسان على مرّ العصور، وكان ذلك نتيجة الخوف أو الرغبة في البحث عن الحقيقة، والسحر في اللغة هو «كل شئ خُفي سبَبُه ولطُفَ ودق، ولذلك تقول العرب في الشيء شديد الخفاء: أخفى من السحر وتصف ملاحة العينين بالسحر لأنها تصيبُ القلوبَ بسهامها في خفاء كما يوصف البيان بالسحر»[1]. ويعتبر السحر من أكثر أشكال الدين بدائية فعادة ما تقوم الطقوس السحرية على الإيمان بالقوى الخارجية وعلى قدرة الساحر في تحويل الشبه إلى حقيقة، وعلى المواد والعقاقير التي غالبا ما تكون أغراض شخصية للشخص المراد سحره كالشعر واللعاب أو الصور الشخصية. بالإضافة إلى التعويذة التي يتلفظ بها الساحر، وغالبا ما تكون عبارة عن توسلات وتضرعات للقوي الشيّطانية أو إلى الآلهة. كما قد يستعين السحرة بالنجوم والكواكب ويطلق على هذا النوع سحر الطلاسم حيث«يستعين صاحبه بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد و خواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون،ويقولون السحر

[1]– عمرسليمان الأشقر، عالم السحر والشعوذة، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 2002، ص 69 .

اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد جسم بروح»[1] وتختلف هذه الطلاسم باختلاف موادها وأغراضها من شحص لآخر،وفي الرواية نجد المستشعرة "راكيل" تطلب من زبونتِها"كاترينا"إحضار شيء يخص "إلياس" قالت«لها اجلبي لي شيئا من بلده»[2] بعد أن بدأت تمارس طقسا روحيا،تردد فيه عبارات وتماتم سحرية،«نحن الأن في هذا المكان تحت رعاية الشيطان "جادة فالدوكو"((لوسيفر)) محاطين بكل هده الأرواح المعذبة لننطلق شيئا فشيئا في رحلتنا من اليأس والضياع، نحو الطمأنينة والراحة والسكينة، برعاية الأب، الإبن، روح القدس»[3] ودور الساحر لا يقف عند قراءة الأقدار فقط بل يتعدّاها إلى تغييرها، وهذا ما يتجلى في الفكر الغربي المسيحي، حيث كانت تُمَارَس الطقوس السحرية بكل حرية وأمام الجميع حيث تقام لها الإشهارات والإعلانات «"راكيل" التي لا تقرأ لك المستقبل فقط بل تساعد على تغيير مجرى الأقدار لصالحك هكذا كانت تقول اللافتة الإعلانية المعلقة على مدخل مكتب العرافة الجنوب أمريكية»[4] فالرغبة في تعيير المصير مشتركة لدى كل الديانات والحضارات وكان مسمّى «مستشعر في إيطاليا يطلق على كل من يمتهن عمل البصّار والوسيط الروحي وكل ما يدخل في إطار تحسس أمواج الطاقة التي تحيط بالعالم»[5] أما عند العودة إلى العالم العربي والمجتمع الجزائري تحديدا، نلاحظ أنّ هناك نوع من التستر والتحفظ فيما يخص السحر والشعوذة لأنه من الكبائر التي حرّمها الله عز وجل في الكتاب والسنة حيث يقول تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**وَاتَّبَعُوا ما تَتلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلكِ سُلَيمَانَ وَما كفرَ سُلَيمَانُ ولَكِنَّ الشَيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِمُونَ النَاسَ السِحرَ ومَا أُنزِلَ ببالَ هَارُوتَ ومَارُوت**

---

[1]– المرجع السابق، ص 105، 106.

[2]– الرواية، ص 178.

[3]– الرواية، ص178.

[4]– الرواية، ص183.

[5]– الرواية، ص 174.

ومَا يُعَلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يَقُولا إنَمَا نَحْنُ فِتنَةٌ فلا تَكفُر فيَتعَلَمُونَ مِنْهُمَا ما يُفَرقُ بِه بينَ المرءِ وزَوجِه ومَاهُم بِضَارينَ مِنْ أَحَدٍ إلا بإذنِالله ويتَعَلمُونَ ما يَضُرُهُم ولايَنفَعُهُمْ ولقَد عَلِمُوا لِمَن اشْتَرَاه مَالَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاَق وَلبِئسَ مَا شَرَوا بِه أَنْفُسَهُمْ لو كَانوا يعّلَمُونْ﴾ من **سورة البقرة، الآية، [102]** . ورغم أن الله عز وجل نهى عن السحر إلا إننا نجد أثاره واضحة ومتجلية في الأوساط الجزائرية، حيث يمارس الإنسان الجزائري طقوسا سحرية سواء بصفة مباشرة أو صفة غير مباشرة، فهناك من يضع الخامسة وهناك من يضع عجلات مطاطية أمام الأبواب وعلى أسطح المنازل، وهناك من يلجأ إلى السحرة من أجل قراءة المستقبل « فضة المسخوطة صاحبة العينين البيضاوين كانت معروفة بأنها ((قزانة)) تتمتع بقدرات خاصة، ولا تزال ((يما مريم)) إلى اليوم تحتفظ في ذاكرتها بتلك اللحظات التي خضع فيها شقيقها الصغير لتلك الجلسة السحرية الغامضة»[1] فغالبا ما يشاع أن الساحر يفقد بصره نتجة طقوس معينة وذلك من أجل التواصل مع الشياطين والجن حيث يعيش حايته عبدا للشياطين،كما يعرف برائحتة المقرفة الناتجة عن طقوسه السحرية واشعاله للبخور والعقاقير التي تستعمل في سحر التمائم وهذه الأخيرة «عبارة عن ورق أو قماش أو قطعة من جلد أو من معدن كتب عليها بعض الطلاسم والرموز والحروف المقطعة والأرقام والمربعات والدوائر والكلمات غير المعروفة،تلف بقطعة من جلد أو تحفظ في قطعة من معدن وتخاط في قطعة من قماش أو يلف عليها بلاصق بلاستيكي»[2] ولعل أهم أسباب انتشار السحر لدى الإنسان الجزائري هو ضعف الوازع الديني، وتأثره بالمعتقدات البالية وجسدت لنا الروائية ذلك من خلال شخصية ((يما مريم)) التي كانت «تتمنى لو أنها تمكنت من قطع يد إلياس حتى تستعملها لفتل الكسكسي واطعامه اليوم لضيوفها .كان ذلك يكون له مفعول السيطرة الدائمة على

1- الرواية، ص27.

2- عمر سليمان الأشقر، عالم السحر والشعوذة، مرجع سابق، ص302.

كنتها،كانت ((يما مريم))دائما تتذكر وصفات تم تناقلها عن"لالة فضة المسخوطة"»[1] فرغم التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل وما صاحبه من تغير على المستوى الاجتماعي والاقتصادي،إلا أننا نجد أنه مزال من يتمسك بالتقاليد البالية كالرغبة في السيطرة على الكنة مُتَبِعاً جميع الطرق والسبل لتحقيق ذلك، الحلال منها والحرام، ولطالما ارتبط السحر بالجريمة ف"يما مريم" لم تكتف بقتل "إلياس ماضي" بل سعت جاهدة من أجل استغلال أعضاء جسده للقيام بطقوس سحرية.

وقد قسّم السّحر إلى نوعين:

أ- سحر إيجابي: وهو الذي تستخدم فيه التعاويذ من أجل تحقيق شيء مفيد ومرغوب فيه وهو ما يطلق عليه السحر الأبيض.

ب- سحر سلبي: وهي التعاويذ التي تكون الغاية منها الهدم والتخريب والشّر وهو ما يطلق عليه السحر الأسود.

إلا أنّ كلّ هذا يتنافى مع الدين الإسلامي،سواء كان سحر سلبي أو ايجابي لأن السحر مظهر من مظاهر الشرك بالله عزوجل، وقد أشارت الرواية إلى أهم المناطق التي تشتهر بالسحر وأنواعه« تُعد هذه المدينة ذات الجمال الملكي الصامت،مركز السحر الأبيض بامتياز في أوربا[...] ما جعل من تورينو مدينة تشكل أحد أعمدة ثالوث السحر الأبيض في العالم الغربي جنبا إلى جنب مع مدينتي ليون براغ [...] الكهنة والسحرة الذين اختاروا لبناء تورينو مكاناً يقع بين مجرى نهري "بو"و"دورا"وهما نهران يغوران بتيارين مختلفين من الطاقة فحسب المعارف القديمة، تتدفق في هذا العالم أنهار طاقة تتفجر في أعماق هذا الكون وتسوح فيه»[2]كما أشارت الروائية إلى بعض الرموز

1- الرواية، ص427.

2- الرواية، ص 183.

التي لها علاقة بالسحر والشعوذة مثل الكف«يمكن لهذه الكف أن تمثل رمزاًسحريا معروفا، إذ يعتقد خبراء السحر الأبيض أن ظهور يد من دون جسم أمر ليس مستغرباً في الحياة العادية وتعرف هذه الظاهرة باسم ((الأيادي البيضاء))، ويعتقد أن هذه الأيادي لسحرة يملكون قدرات خارقة ويعملون لخير الإنسانة»[1] نلاحظ أنه رغم التطور الهائل في شتى مجالات الحياة، إلا لايزال للخرافات والأساطيروالكهانة رواجا، في مختلف أنحاء المعمورة وبين شتى طبقات المجتمع، الغنية منها والفقيرة،الجاهلة منها والمتعلمة.

2- المعتقدات المتعلقة بالموت: إن الطقوس المرتبطة بالموت هي تعبير عن فكر وثقافات الشعوب التي تختلف تفسيراتها ونظرتها للموت من مجتمع لآخر فالموت هو نهاية كل حي، حيث تنتهي الحياة الدنيا وتبدأ الحياة الآخرة وتختلف الطقوس المرتبطة بالموت من دين لآخر ومن عصر لآخر، إلا أن المشترك هو العمل على إزاحة الجثة – جثة الميت – ففي الدين الإسلامي تزاح الجثة بالدفن بعد المرور بعدة مراحل وفي الديانات الأخرى تختلف طرق الدفن بين الحرق والرمي في البحار والتحنيط....إلخ.

ومن أهم المعتقدات وأكثرها إنتشارا في الماضي؛ فكرة الحياة الثانية بعد الموت حيث كانت تُدفن الجُثة رفقة الجواري والعبيد، وهي أهم طرق الدفن التي اعتمدتها الحضارة المصرية القديمة، حيث وجّه المصريون القدامى عناية خاصة بموتاهم وهذا لاعتقادهم بوجود حياة أبدية داخل القبر فبعد موت أي شخص يحمله الأهل إلى المحنطين لحفظ الجسد حتي تعود له الروح مرة ثانية في القبر.

ومن الطقوس الأخرى المرتبطة بالموت؛ حرق جثة الميت داخل محرقة ورمي الرماد بعد ذلك اعتقادا منهم بأن « حرارة المحرقة تُهيىء الجثة لتحرير الروح من الجمجمة

[1]- الرواية، ص282.

المتصدعة[...] وحرق الجثة هو التقدمة الأخيرة من الذات إلى الآلهة»[1] حيث كان يُعتقد أن حرق الجثة يساعد على تحرير الروح والتقدم بها إلى من أجل نيل رضاها وتجنب غضبها، وهذا ما جسدته لنا شحصية "مارتينا "« عندما أموت أود أن ينثر غباري على تربة تنمو عليها هذه الشجرة. وأشارت إلى شجرة كانت تنتصب أمام ضريح والدتها في تلك المقبرة[...] أود أن أكون بعد وفاتي سمادًا لهذه النبتة»[2].

ومن المعتقدات الأخرى المتعلقة بالموت هو ضرورة العمل بوصية الميت لأنه آخر طلب له، كما ظهر ما يعرف بالدفن الجماعي حيث «اتبعت الجنازات اليهودية التقليدية في زمن يسوع الدفن المزدوج، مع جمع العظام الجافة ووضعها في أوعية حاصة – هيصناديق العظام *ossuaries*– تطل على الأضرحة»[3] حيث كانت تُبنى أضرحة كبيرة في أماكن مخصصة تدفن فيها بقايا العظام الجماعية، إلا أنه هناك من يفصل بين الموتى حيث تخصص أضرحة للأغنياء وأخرى للفقراء، أما عملية الدفن في الديانة المسيحية فتقوم على عدة شروط أهمها «جعل الميت بمواجهة الشرق أو بإتجاه القدس فهو رمزيا ينتظر عودة المسيح»[4].

فالطقوس المرتبطة بالدفن ليست اعتباطية بل تعبر عن توجه وتشبع ديني.أما المعتقدات المتعلقة بالدفن في الدين الإسلامي فهي واضحة وضّحها القرآن والسنة بداية من لحظة الاحتضار إلى غاية الدفن فمن المستحبات تحسين هيئة الميت عندما يكون قد فارق الحياة إكراما له وبرا به وقد سمح لإسلام بالبكاء على الميت ولكنه حرَّم لطم الخدود وشق الثياب وقد اعتنى الإسلام بالميت فرغب في غسله وتجهيزه وتغطيته بالكفن الأبيض

---

[1]– دوفلاس ج. ديقيس، الوجيزفي تاريخ الموت، تر:محمد منقذ الهاشمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2014، ص27.

[2]– الرواية،ص200.

[3]– دوغلاس ج . ديقيس، الوجيز في تاريخ الموت، مرجع سابق، ص85.

[4]– المرجع نفسه، ص 88.

النظيف، كما أوجب الصلاة على الميت وهي صلاة الجنازة التي تقام في المسجد وهو المكان الأكثر تقديسا بعد الكعبة الشريفة بالنسبة للمسلمين عامة والجزائرين على وجه التحديد فرغم التناقضات الموجودة في شخصية الإنسان الجزائري إلا أن للجانب الديني هالة كبيرة من التقديس وجاء في نص الرواية «خلع نعليه في مدخل المسجد وصدره يعتمل بالأسى»[1] وهو تعبير عن تقديس كل ماله علاقة بالجانب الديني،وتمسكه بالشعائر الدينية«حمل الآن مفاتيح المحلّ، وقرر اغلاقه مبكرا ذلك اليوم[....] لم يكن عليه هو تضييع صلاة الجنازة»[2].

ويمكن الإشارة إلى أن صلاة الجنازة تؤدى قياما فقط، حيث لا يوجد فيها ركوع ولا سجود كما لا يوج فيها طقوس وترانيم أخرى كما هو الشأن عند غير المسلمين وصلاة الجنازة مظهر من مظاهر التآخي والتآزر والتكافل الاجتماعي التي يتمسك بها الإنسان الجزائري ثم تحمل الجنازة إلى مكان الدفن؛"المقبرة" حيث تحمل هذه الأخيرة نوعاً من القداسة باعتبارها أول منازل الآخرة فلايدوس ترابها إلا الإنسان الطاهر،ومن المعتقدات المتعلقة بالموت أيضا نذكر الصدقة على روح الميت،«أخرجت" يما مريم"قبل خمس سنوات جفنة كسكسي صدقة على روح والدها حملها إلياس بنفسه إلى مسجد الحي»[3] وهي معتقدات دينية مترسخة لدي الجزائري بصفة عامة.

3- المعتقدات المتعلقة بالمغفرة: شاع مصطلح "صك الغفران" في الكنيسة المسيحية حيث كانت الفكرة تقوم على التحرر كليا أو جزئيا من العقاب الدنيوي فالإعتراف بالخطيئةفي الكنيسة يجعل"البابا"يصلي من أجل المذنب حتى يمنح له القدرة و العودة إلى الحياة العادية السابقة الخالية من الخطيئة فهو بمثابة الوسيط الروحي بين

---

[1]- الرواية،ص 423.

[2]-الرواية، ص 422.

[3]- الرواية، ص 203.

المذنب والرب «شعرت كاترينا أنها تودّ أن تعترف بكل شيء للأب أليساندرو[...] كانت تعلمأنها قد خالفت هي نفسها تعاليم الكنيسة بالتعامل مع القوى الشيّطانية ممثلة في "راكيل" الوضيعة لتحقيق هدفها إلا أنها لم تكن لتُقدم على ذلك سوى للتخلص من عدو المسيحية [...] لكنها كانت تعلم أن عليها التريث قبل أن تعترف للأب "أليساندرو" بتفاصيل خطيئتها الكاملة[...] كان لابد أن يتم الاعتراف تحت حماية الكنيسة»[1].

فرغم الثورة ضد الكنيسة نتجة استغلالها لعقول الناس وعواطفهم، من أجل جمع الأموال الطائلة التي حيث كانت سببًا في ظهور في ظهور اتجاهات ترفض كل ما له علاقة بالكنيسة إلا أنه بقت الكنيسة تحمل طابعًا قدسيا في الديانة المسيحية وتجسد في شخصية "كاترينا".

3- المعتقدات المتعلقة بالحج:الحج ركن من أركان الإسلام، وهو جامع لكل معاني العبادات الأخرى فمن حج، فكأنما صام وصلى وتزكى وجاهد في سبيل الله عزوجل، وكل من أدى فريضة الحج تصبح له مكانة خاصة في المجتمع، حيث تتحقق له طهارة النفس والبدن بالابتعاد واجتناب المعاصي والآثام، فتصبح له مكانة خاصة في المجتمع تتميز بالتقديس والتعظيم، كما تعتبر الهدايا التي يحضرها الحاج من أداء فريضة الحج، أداة للتيمن والمباركة فهي هدايا قادمة من البقاع المقدسة «وقبل أن تهم بفك خمارها الذي أهدته لها جارتها بعد عودتها من الحج،والذي كانت تتيمن به لأنه أتى من البقاع المقدسة، على الرغم من أنها كانت تعلم في سرّها أن جارتها قد اقتنته من ساحة الشهداء»[2]، وعلى الرغم من أن الهدية التي قدمتها الجارة عن عودته من البقاع المقدسة هي نفسها الموجودة في السوق المحلية، إلا أن ذلك لا يمنع "يما مريم" من تقديس هذه

---

[1]- الرواية، ص 374.

[2]- الرواية، ص 32.

الهدية حالها حال أي إنسان جزائري، حيث يقدس هذا الأخير كل ما له علاقة بالبقاع المقدسة.

ثانيا: الرموز الدينية:سعت الروائية إلى توظيف عدة رموز دينية تلاحمت فيما بينها مشكلة خطابا رمزيا مشفرًا، يحفز القارئ على البحث والتفسير، حيث استحضرت أسماء لشخصيات قرآنية كالأنبياء والرُسُل بالاضافة إلى رموز دينية أخرى كالنجمة السداسية والخماسية والشمعدان السباعي كما أشارت إلى منظمات عالمية كالماسونية ورموزها وعلاقاتها باليهودية. وفي مايلي نشير إلى أهم الرموز الدينية في الرواية.

1-النجمة الخماسية:جعلت الروائية من "النجمة الخماسية "رمزاً أسطوريا دينياً عابراً للثقافات، ما جعلها متعددة المهام تقربنا تارة من الأساطير الدينية، وتارة أخرى من تاريخ الجزائر،فهي جعلت منها رمزا دينيا لتواجدها في المساجد رفقة الهلال كرمز للدين الإسلامي ورمزًا حضاريًا وتاريخياً لتواجدها على راية العلم الجزائري كما قدمت لها دلالات أخرى يقول إسحاق -شخصية في الرواية- عن النجمة الخماسية«إنها موجودة داخل مبنى الأمم المتحدة في نيويورك [...] وهل تعلم إلى أين [...] إلى جوار الشمعدان السباعي»[1]، فهناك من ينسب النجمة الحماسية إلى اليهود حيث نجد في موضع آخر «فهناك تباع نماذج مختلفة للخامسة باعتبارها جزءاً من التراث اليهودي وهم يسمونها تشامساه»[2] فالمعروف أن اليهود عاشوا في الجزائر وتأقلموا مع مختلف الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فاشتغلوا في قطاع الصناعة خاصة صناعة النحاس، عُرفوا بتنقلهم وترحالهم فهم لا أصل لهم ولانسب، يعيشون في حالة من التشرد والتشتت فهناك يهود المغرب ويهود اليمن ويهود الجزائر«حيث تتكون الجالية اليهودية في بلادنا من بضعة ألاف حسب البعض أو من بضعة عشرات الألاف حسب البعض الآخر أو

---

[1]- الرواية، ص 16.

[2]- الرواية، الصفحة نفسها.

بضعة مئات حسب بعض الشخصيات اليهودية الجزائرية اليوم.وهي تعيش الحياة الجزائرية كاملة بكل حقوقها وواجباتها تعرف كل شيء عن الجزائر والجزائر تجهل كل شيء عنها»[1] فتواجد اليهود بالجزائر أدي إلى تمازج الحضارات والثقافات نتيجة التأثير والتأثر،«ومايطلق عليه اليوم اسم الإرث اليهوديليس إلا موروثات ثقافية للشعوب نفسها التي عاش معها اليهود والتي تبنوها بشكلما مع مرور الزمن وأصبحوا يُنسِبونها إليهم، أو بالأحرى سطوا عليها»[2]. حيث خلدوها في الحلي التي تتزين بها المرأة، كما زيَّنوا بها الجدران و المنازل، أما الجزائري فقد استخدمها كأداة لرد العين وابعاد الحسد«على الأقل تركوا لنا النجمة الخماسية ولم يسطوا عليها هي الأخرة.بعد أن حطت عيناه على نجمات خماسية صغيرة متداخلة كانت تزين أطرافها خالقة على حاشيتها فسيفساء بديعة .....»[3].

كما ارتبطت النجمة الخماسية بالسحر والشعوذة في الديانات والحضارت الشرقية، إلا أن مرجعيتها اليوم تعود للدين الإسلامي، فهي موجودة في المساجد كرمزا للإسلام وأركانه الخمسة.وقد استعملها الإنسان الجزائري كأداة يؤكد من خلالها هويته الإسلامية.حيث نجدها في العلم الوطني، وقد أشارت الروائية إلى العلاقة بين راية "الأمير عبد القادر"السابقة والعلم الوطني الحالي والماسونية«يتذكر أنه من المفترض أنه قد اشترى كل ما طلبه منه "إيرماونو"من مراجع....الأمير عبد القادر...تاريخ الجزائروربما معها تاريخ العلم أو حتى الماسونية ....دور الماسونية في التاريخ الرسمي للشعوب»[4].

---

[1]–فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر ، برج الكيفان، الجزائر، ط2، 2004، ص 6.

[2]– الرواية، ص 19، 20.

[3]– الرواية، ص 62-63.

[4]–الرواية، ص 408.

فهي ربطت بين الكف الخامسة الموجودة في "راية الأمير عبد القادر" والنجمة الحالية الموجودة في العلم الوطني والدور الخفي للماسونية في تاريخ الشعوب، حيث كانت تريد الإشارة إلى العديد من الدلالات الخطيرة التي تحّمِلُهَا رمزية النجمة، فهي ترتبط في الكثير من الأحيان بالمنظمات اليهودية والماسونية.

2- النجمة السداسية.هي من أشهر شعارات اليهود، يطلقون عليها اليهود "ماجن دفيد"ومعناها "درع داود"حيث جعلوا منهارمزًا لهم وعلى الرغم أن «هذه النجمة – السداسية– وجدت مرسومة على بعض المعابد اليهودية في القرن الثالث ميلادي، فإنها وجدت قبل هذا وبشكل أكثر شيوعًا في بيئات غير يهودية(في المعابد الرومانية ثم في الكنائس المسيحية[...]ولم تستخدم النجمة كشعار لليهود ككل إلا في حوالي القرن السادس عشر»[1]، حيث خلّدوها بفضل صناعاتهم اليدوية«جحظت عيناه في تلك النجمة التي بدت نقوش الصينية المتداخلة ببعضها البعض والملتفة بعناية من حولها أشبه بمتاهة تم تصميم خطوطها باتقان لتؤدي إلى تلك النجمة التي زاد انعكاس شمس العاصمة المحُرقة تلك الصبيحة من وضوحها. إنها نجمة داود السداسية»[2]، وتعتبر النجمة السداسية من أهم الرموز السحرية لدى اليهود وأهما على الإطلاق «جاءت أهمية هذا الرمز عند اليهود من عدة فرضيات منها أهمية الرقم 06 عند اليهود وهي عدد أيام خلق الأرض والأيام المسموح العمل بها في اليهودية»[3]، أما عن أصل تسميتها بنجمة داود فهو كالتالي «يعتقد كثير من الناس أن صاحب درع النجمة السداسية هو النبي داود عليه السلام وهو اعتقاد يغذيه الإعلام الصهيوني [...] والصحيح أن داود صاحب

1- غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط1، ص 90.

2- الرواية، ص 22.

3- عبد السلام البسيوني، الغزو الخفي؛ من الرموز الدينية المخالفة لعقيدة المسلمين وقيمهم، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت)، ص 41.

درع النجمة السداسية هو فارس قامت على أكتافه مملكة اليهود الخزر التي اتخذت من "كِيِيف" الروسية عاصمة لها ومن قلعتها مقرا لحكمها»[1]، ولا علاقة لها بنبي الله داود عليه السلام، أي أن اليهود تبنوها نتيجة احتكاكهم مع الحضارات الأخرى وبفضل اهتمامهم بالتجارة والصناعات اليدوية، حيث عملوا على تخليدها في النحاسيات وجعلوا منها رمزا لهم فجسدوها في العلم الإسرائيلي، وجعلوا منها شعارا للعديد من القطاعات. لتأتي الماسونية بعدها وتجعل منها رمزا ماسونيا بامتياز «فالنجمة السداسية أُسْتُعْمِلت في زمن سليمان واستعملت أيضا في زمن داودوالنجمة السباعية رمزوا بها إلى الشمعدان الذي يُستعمل في طقوسِهم»[2]، لأن جذورها الماسونية يهودية صرفة، من حيث المساعي والأهداف والوسائل المستخدمة، حيث استخدموها في طقوسهم السحرية وعلوم التنجيم «... فجأة تذكر أن تلك النجمة الشهيرة قد سُرِقت منذ سنوات من فوق تمثال الذي صُنِع تخليدا لأرواح العمال الذين قضوا أثناء أدائهم للعمل [...] وعاد لينظر إلى رأس ذلك التمثال الذي غابت عنه نجمته ... نجمة قد تكون سُرِقت لأداء طقس سحري ما»[3]، فأصبحت النجمة السداسية رمزا لتخليد شرورهم ودسِّ سمومهم في شتى المجتمعات العربية والغربية على حد سواء.

3- الشمعدان السوباعي:هو من أبرز الرموز الماسونية على الإطلاق، به يتقربون إلى الآلهة حيث يقومون بإشعال الشموع والتضرع لها فهو أعظم رمز ديني عند اليهود«ويرمز إلى الأيام الخليقة السبعة في التوراة التي يعتقد اليهود أنهم سيتوجون في اليوم السابع منها ولهذا أُتُخِذ رمزا رسميا للدولة الإسرائيلية فنراه منقوشا على العملات وهناك شمعدان أكبر

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، حقيقة الماسونية، دار المنهج للنشر والتوزيع، قالمة، الجزائر، ط1، 2014، ص 28.

3- الرواية، ص 417.

قديم، يذكر المؤرخون أنه نجا من الإحتراق عندما دمَّر "بختنفر" الهيكل عام 587 ق.م، إذ ظل اليهود يحملونه عبر قرون طويلة، وهو شعار إسرائيل ويُدعى عندهم مينوراه»[1].

فالماسونية التي تدّعي المساواة في ظاهرها كانت بمثابة الحل لليهود الذين كانوا يعانون من الإضطهاد بسبب دسائسهم وخُبْثهم حيث تدعوا الماسونية إلى الإدماج وإقامة الوطن القومي المشترك في المجتمعات الغربية الأوروبية أو العربية وهذا ما تسعى إليه إسرائيل من خلال العمل على تأسيس وتكوين وطن قومي في فلسطين عن طريق «المحافل الماسونية تسعى في طلب أرضي فلسطين من السلطان عبد الحميد الثاني ولكنه رفض»[2] فقد جعلوا من الشمعدان السباعي أحد أهم الرموز الماسونية إلى جانب النجمة السداسية «إنها موجودة داخل الأمم المتحدة في نيويورك. واستطرد إسحاق الآن وهو يحدق في عيني سي عبد الله الضيقتين وكأنه يستعد لإطلاق رصاصة الرحمة على رأسه: وهل تعلم أين؟ ... إلى جوار الشمعدان السباعي»[3] فهو رمز مشترك بين المنظمات اليهودية والماسونية، حيث يتواجد في داخل المحافل الماسونية وداخل المعابد اليهودية.

4- هيكل سليمان: أوردت الروائية رمزا آخر يعتبر محل جدل على العديد من المستويات، فأسطورة الهيكل المزعوم واعتقاد اليهود بأن النبي سليمان بنى هيكلا لحفظ تابوت العهد وأن مكانه تحت قبة الصخرة هو الذي جعل اليهود يسعون إلى تهديم المسجد الأقصى للبحث عن الهيكل «الهيكل الذي صممه حيرام أبيف [...] أب الماسونيين والمهندس الأعظم للكون [...] وتواصل الأسطورة أن الأسرار لم تضع بل أمر سليمان بإخفائها تحت الهيكل والتي أصبحت تمرر عبر طقوس سرية من معلم إلى

1- فيكتور مارسدن، بروتوكولات حكماء صهيون، تق: عباس محمود العقاد، دار الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 133.

2- أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، حقيقة الماسونية، مرجع السابق، ص 29،

3- الرواية، ص 16.

آخر»[1]، وهذا ما جعل اليهود يهتمون به ويجعلوه من أهم معتقداتهم الدينية واستبغوه بهالة من التقديس كما حمّلوه العديد من الأساطير والخرافات.

5- الرمز الماسوني G:حاولت الروائية لفت انتباه المتلقي إلى رموز يشاهدها ويستعملها في حياته اليومية لكن دون دراية له بمرجعيتها وتفسيراتها، ومن هذه الرموز نجد الرمز G الذي يتواجد في المطار الدولي هواري بومدين «لقد كان واضحا من الصورة أن مهندس مطار الجزائر قصد أن يبدوا الرسم من الجو على شكل ذلك الرمز الذي ارتبط ب"حرام أبيف" مهندس هيكل سليمان [...] مع أن الكثيرين يعتقدون أن هذا الرمز يرمز إلى الحرف الأول من إسم الله بالأنجليزية *GOD* وهو المهندس الاعظم للكون بالمعنى الأوسع. بينما يرى البعض أنه لايمثل سوى أول حرف من كلمة هندسة، ويعتقد آخرون أن هذا الرمز لا يشير في الواقع إلا للحرف الأول من كلمة *GEMATRIA*، وهي القانون المكون من إثنين وثلاثين بندا والذي وضعه أحبار اليهود لتفسير الكتاب المقدس في سنة 200 ق.م وهونفس عدد درجات الماسونية»[2]، فرمزية G تختلف من تفسير لآخر فهناك من يرى أنها رمز للهندسة وهناك من يفسرها بأنها رمز لكلمة الله، إلا أن الروائية أبت أن تفسره ماسونيا «ولوسيفر هذا قد لا يكون سوى الشيطان الذي يعبده الماسون أيضا إذ يعتقد أن الحرف G الذي يظهر وسط الرمز الماسوني الشهير المدور والكوس لا يمثل سوى رمز كوكب الزهرة الذي يعتبر أحد أسماء الشيطان الذي يحيل عند الماسونيين إلى لوسيفر الإله الذي كان فرسان الهيكل يعبدونه»[3]، وينتشر هذا الرمز في الجزائر فنجد «في صورة فندق الشيراتون الواقع في إقامة الدولة الرسمية، وقد كان مصمما هو الآخر على شكل رمز الكوس والمدور

---

[1]- الرواية، ص 111.

[2]- الرواية، ص 88.

[3]- الرواية، ص 236.

الماسوني، والذي كان يُعد من أشهر الرموز الماسونية»[1] فهي تسعى إلى نشر رموزها في مختلف أنحاء العالم، عن طريق الإعلام وتحت شعارات خدّاعة كالحرية والأخوة والمساواة والإنسانية فهي تدعوا على الإنفتاح على الأديان.

لكن الإنسان الجزائري يرفض التعامل مع كل من كانت له علاقة مع اليهود أوتاريخهم الذي خضع للتحريف وهو ما عبرت عنه سهيلة في الرواية حيث رفضت التعريف بإحدى الشخصيات اليهودية «أنا ببساطة قلت أن الكاهنة قد تكون قلق لأن ديانتها كما تعلمين مرتبطة في الوجدان الشعبي بجرائم إسرائيل، هذا الصهيوني الغاشم الذي يقتل أطفالنا»[(2)]، وهو تعبير صريح عن موقف الإنسان الجزائري من الكيان الصهيوني ورفضه لكل ما يمد له بصلة من رموز وإشارات وإن وُجِدت هذه الرموز في بيئته فذلك عن جهل أو تشابه في الألفاظ فالجميع مثلا يرى أن رمز G في مطار هواري بومدين أو في فندق الشيراتون، يرجع إلى كلمة الله باللغة الأنجليزية GOD وقد أشارت الروائية إلى بعض الرموز لها علاقة مع التراث اليهودي المرتبط بالقبالة أو الكابالا حيث يقول سي عبد الله «أتعملون ما هو أسوأ من الأسماء المسروقة أيها الأحبة هي الأسماء المختصرة؟ (....) لانام ... لاناب ... لاكنيب ... لونساج ... كل هذه الكلمات المختصرة ليست إلا بقايا لموروث القبالة ... إنها تراث اليهود السحري»[(3)]، ثم تواصل مُعَرِفة للقبْالة «هي نصوص سحرية وصلت إلى بعض أحبار اليهود عن طريق أحد الملائكة الساقطين على الأرض»[(4)].

---

[1]– الرواية، ص 113.

[2]–الرواية، ص 55.

[3]– الرواية، ص 233، 234.

[4]– الرواية، ص 235.

هذه إذن أهم الرموز الدينية الواردة في الرواية والتي ترتبط وتتشارك فيها الديانات، كما ترتبط كلها بالطقوس السحرية والشعوذة.

6- اليد (الكف): اليد من أقد الرموز التي ارتبطت بالحضارة الإنسانية، فأبدع الإنسان في نحتها ونقشها في مداخل المعابد والكنائس وفي المغارات والكهوف، وتختلف دلالالتها من ديانة إلى آخرى، فهي تدل على طلب البركة وطلب القوة عندما رفعها نحو السماء كما تستعمل لصد السحر والشعوذة لتصبح فيما بعد من أشهر الرموز الماسونية (رسم اليدين متصافحتين).

وترجع أصول استخدام اليد كرمز إلى مصر القديمة،«ففي الديانة التوحيدية التي نهض بها الفرعون آمسنوفيس الرابع، فإن الكوكب الشمسيآتون يصدر أشعة متلألئة منتهية بأيدي توزع الحياة ، إنها مرئية تماما على النقوش والجداريات ومفروشات ذلك العصر وبخاصة عرش" توت عنخ "[1]. لهذا فقد كانت أغلب الرموز الموجودة في المعابد المصرية تنحصر بين اليد والعين، وذلك بغرض طلب القوة والإعانة من الآلهة.

وفي المفهوم الديني فإن اليد «ترمز إلى الوجود الإلهي، وقوته وتأثير اليد الألوهية، هي تلك التي تدخل في أقدار البشر عندما يحيدون عن طريق الحق والإستقامة»[2]، فرفع اليدين نحو الأعلى يدل على الصلاة والتضرع لطلب القدرة والتحمل والصبر من الله -في الدين الإسلامي- أما في الديانات الأخرى فقد كانت اليد ترفع من أجل التضرع للآلهة وطلب المغفرة واستمادة الخصوبة أو من أجل ممارسة طقوس سحرية معينة «لطالما قام القدماء بربط تفسيرات سحرية لكل عضو من أعضاء جسم الإنسان ولكن تبقى رمزية اليد البشرية لوحدها كافية لملء عدة مجلدات. فالرموز يمكن أن تشير إلى مفاهيم ملومسة

---

[1]- فليب سرينج، الرموز في الأديان-الفن-الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، سوريا، ط1، 1992، ص 272.

[2]- المرجع السابق، ص 274.

أو مجردة، أحداث حقيقية أو متخيلة، ظواهر طبيعية أو خارقة، مبادئ روحية أو مادية، إلا أنه ومما هو واضح في كل ماقيل عن اليد أن الحكماء والفلاسفة استخدموها للإشارة دوما إلى شيء واحد فقط لا غير [...] ألا وهو الكا ... وقد كانت عبارة أن يلتقي المرء بكاه باللغة الهيروغليفية تعني أن يموت ... إنها الروح»[1].

فاليد تشير أيضا إلى الروح؛ أي حياة الإنسان لهذا انتشر في الماضي ظاهرة قراءة الكف أو مايعرف بالتبصر والتكهن وهي ظاهرة مزالت منتشرة إلى حد الآن في بعض المجتمعات الغربية والإسلامية على حد سواء، فإرمانو شخصية في الرواية «كان غالبا ما يتوقف للسماح للغجريات من الروم، بقراءة كفه في لحظات مميزة كان يعتبرها احتفاء برمزية اليد في تحديد مصير الإنسان، وقدره أكثر من كونها لحظات كان يسعى أصحابها من خلالها للتلصص على المستقبل»[2] فهي تحتل مكانة عالية مثلها مثل العين.

«ومنذ الحضارة السومرية، خلط الميزوبوتاميون، الألم الطبيعي والقذارة والعقاب وكان الطبيب قرب سرير المريض يشخص المرض بأنه يد هذه الأولهة أو تلك لأصل المرض وهذا المفهوم لم يكن خالي من التأثير على اليهودية أو الإسلام وربما كان يستعمل في العالم الإسلامي للوقاية بشكل لاشعوري وحوله يد صغيرة مزخرفة وهي حتى اليوم مستعملة كحلية حرز معين كما يقال لطرد أعمال الجان الشريرة »[3]، وهذا مزال منتشرا إلى يومنا هذا.

أما في الديانة المسيحية فهي تشير عادة إلى «الوجود الإلهي، وفي المذهب الكاثوليكي بالتحديد لطالما ثم تصوير التأثير الإلهي على مجريات الكون في اللوحات والجداريات التي تعود إلى القرون الوسطى من خلال يد عظيمة تخرج من بين الغيوم

---

[1]- الرواية، ص 348، 349.

[2]- الرواية، ص 86، 87.

[3]- فليب سرينج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، مرجع سابق، ص275.

لتحمل معها رسائل روحية هامة للرسل والقديسيين»[1]. أي تشير إلى التدخل الإلهي في مصير الإنسان ولهذا تصادفنا رموز ونقوش متعددة لليد في مختلف الحضارات. أما عند المسلمين فاليد ترمز إلى ما يعرف بيد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما هو متعارف عليه "خامسة فاطمة" وقد أشارت الكاتبة إلى اليد وذكرتها في عدة محطات في تاريخ الجزائر «وقد كانت رايات مختلفة في ألوانها وأشكالها، ليظهر العلم بالنجمة والهلال بألوانه الحالية في مظاهرات 8 ماي 1945 في سطيف لكن النجمة كانت نجمة سداسية إلى جانبها كف حمراء ذات أصابع مرسومة دون عناية»[2]. ويعود رمز الكف إلى الرمز "5" وما يحمله من دلالات مثل: أركان الإسلام الخمسة.

إلا أن الكتابة أبت وأن ربطتها بالسحر والشعوذة لدى الإنسان الجزائري، وجسّدت ذلك من خلال شخصية "لالة فضة" المسخوطة، «أعلمي أن العالم مقسم إلى خمسة أقسام. قالت وهي تدس الخامسة الفضية بين ثانايا البيضاء لقماط الطفل الذي يتجاوز عمره الشهرين. (الجماد، النبات، الحيوان، الناطق واليهودي)... هذه الخامسة ستحمي إبنك من عين الناطق وتحفظه من سم النبات، وتبعد عنه ناب الحيوان وترفع عنه ثقل الجماد»[3]. فهي قدمت لها تفسيرات خرافية للشعوذات البدائية التي تنتج عن الجهل والسحر وإخراج أقسام العالم الطبيعية من أصلها الطبيعي إلى طبيعة خرافية ميتافيزيقية لا رابط منطقي بينهما سوى الأساطير.

وفي موقف آخر ربطتها بالسحر مباشر وذلك ما جسدته شخصية "يما مريم" التي حاولت قطع يد "إلياس ماضي" لتستغلها في طقوس سحرية وكذا في السيطرة على كنتها، «وعاد لينظر إلى تلك الجثة وقد راوده احساس غريب أنها واللوحة جسم واحد

---

[1]–الرواية، ص 280.

[2]– الرواية، ص214.

[3]– الرواية، 26.

بانعكاسين مختلفين، لتحط عيناه الآن على تلك اليد المسلوخة التي كانت تقبع بهدوء إلا جانب صاحبها والتي كانت لا تزال متعلقة بذراعها من خلال المعصم بواسطة بعض الأوتار»[1] حيث كانت تود قطعها لتستغلها في طقوس سحرية من أجل السيطرة على كنتها.

ويمكن القول أن دلالة اليد كانت متعددة ومختلفة حسب تعدد واختلاف الحضارات، وارتبطت غالبا بالخلق والقدرة الإلهية والخصوبة إضافة إلى السحر والشعوذة.

ثالثا– الأسماء الدينية: تميزت الرواية بخلق شخصيات روائية تم العمل بعمق على تركيبتها النفسية والاشتغال بعناية على كل التفاصيل الدقيقة لكل منها، فجاءت أسماء الشخصيات ذات طابع ديني، تحمل توجه فكري وديني، جعلت من الأسماء –في حد ذاتها– الانطلاقة التي تبعث في نفس المتلقي الاستفسارات والأسئلة، حيث كان اختيار الأسماء بعناية شديدة، ومن خلال أسماء شخصياتها أشارت إلى عدة جوانب دون أن تصرح بها مباشرة وفي ما يلي نشير إلى أهم الشخصيات في الرواية:

1–إبراهيم: نسبة إلى نبي الله "إبراهيم عليه السلام"، شخصيه إبراهيم في الرواية شخصية ثانوية بسيطة يشتغل محقق في قسم الشرطة.

2– إسماعيل: نسبة إلى نبي الله " إسماعيل عليه السلام"، وإسماعيل في الرواية طالب جامعي يشتغل رساما لدى شركة لأوبتيميديا.

3– إلياس: نسبة إلى نبي الله "إلياس عليه السلام"، بطل الرواية شاب في مقتبل العمر يتعرض للغدر والنصب من طرف العديد من الأشخاص

[1]– الرواية، ص 10.

4- حمزة: «الحرافة كطعم الخردل، الحموضة، الأسد أو الشبل»[1]، وهو اسم من أسماء الصحابة، وهو اسم عم الرسول وشقيقه من الرضاعة.

5- هارون: نسبة إلى نبي الله عليه السلام، واسم شقيق النبي موسى عليه السلام، حيث حَمِلَ عبء الرسالة مع أخيه موسى إلى فرعون وبني إسرائيل.فيالرواية يشتغل هارون تاجر للنحاسيات .

6- إسحاق: نسبة إلى نبي الله إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام .

7- سهيلة: «السهلة»[2] و«سهيلة اسم مؤنث عربي مصغر [...] وهو تأنيث سهيل [...] سَهْلٌ وسُهَيْلٌ: اسمان. وسُهَيْلُ كوكب يمانٍ وقال الأزهري: سهيل كوكب لا يُرى بخُرسان ويُرى بالعراق وسهيلة كذَّاب وفي المثل: أكذَبُ من سُهَيلة»[3].

8- مريم وهو اسم غير عربي، نسبة إلى اسم والدة المسيح عيسى ويعني اسم مريم العابدة والخادمة لله

9- داميا: هو اسم الملكة اليهودية المعروفة باسم الكاهنة، داميا في الرواية شخصية صلبة وقوية متعلمة تعرضت للخيانة من طرف "سهيلة "و"شينيت" فتقرر الانتحار حيث جعلت لها الروائية نفس نهاية الكاهنة التي انتحرت في آخر حياتها.

10- عبد الله وهو اسم والد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الأسماء الأجنبية الحاضرة في الرواية نذكر: "راكيل" و"كاترينا" و"إيرمانو" والأب "أليساندور" وهي شخصيات ثانوية ساعدت على سير الأحداث وربطها فيما بينها.

---

[1]- وليد نصيف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1979، ص 61.

[2]- وليد نصيف، الأسماء ومعانيها، مرجع سابق، ص 254.

[3]- الرواية، ص 158.

والملاحظ أن أسماء الشخصيات في الرواية كانت أسماء دينية مقدسة منتقاة من معجم ديني، مختارة عن توجه فكري وديني. فهذه الأسماء هي نموذج مصغر عن أسماء من المجتمع الجزائري، وهذه الأسماء تشير إلى التشبع الفكري والديني للإنسان الجزائري في اختيار أسماء المواليد، كما تشير إلى السخرية والاستهزاء مرة أخرى؛ أي الاسم يبقى اسم فقط، أما الأفعال والنوايا فهي من جوهر الإنسان بعيدة كل البعد عن اسمه ويتجسد ذلك في شخصية "ياما مريم" فمعنى اسم "مريم" هو العابدة والخادمة لله، كما ترمز في ديننا الحنيف إلى مريم العذراء والدة السيد المسيح، كما أنها رمز الطهارة والنقاء، إلا أننا نجد هذه الشخصية في الرواية مخالفة لاسمها فهي التي تتسبب في مقتل "إلياس" كما رغبت في قطع يده حتى تستعملها لأغراض وطقوس سحرية.

كما جعلت من الأسماء رموزا تشير بها إلى عدة جوانب مهمة دون أن تذكر ذلك أو تصرح به مباشرة ومثال ذلك عائلة "سي بن هارون" المتكونة من الأم "وسي بن هارون" و"داميا" و"إسحاق"، فتصرفات وأسماء هذه الشخصيات توحي بالانتماء المشبوه للأصول اليهودية وذلك من خلال اهتمامهم بكل ما له علاقة باليهود وتاريخهم«فرك سي عبد الله عينيه وهو لا يصدق ما رآه للتو في قلب صينية بن هارون [...] هل كانت فعلا نجمة سداسية؟»[1] فالأب يشتغل في صناعة النحاس وهي صناعة اشتهر بها اليهود قديما، والابن يدافع عن اليهود وتاريخهم كلما سمحت له الفرصة، في حين "داميا" تُصِرُ على التعريف والتشهير بشخصية الكاهنة اليهودية هذه الأخية التي تشاركها نفس الاسم، فالكاتبة أشارت إلى الإنتماء المشبوه للأصول اليهودية لهذه العائلة أكثر من مرة، لكن دون التصريح بذلك مباشرة، وجاء ذلك على لسان الأب أخوك هذا يريد أن يفضحنا وذلك بعد الحوار الساخن الذي جرى بين الابن و"سي عبد الله" حول النجمة الخماسية وتاريخ اليهود.

---

[1]– الرواية، ص 22.

وفي الأخير يمكن القول أن الكاتبة أرادت ايصال فكرة مفادها أن الإنسان،عندما يختار الأسماء يكون ذلك عن تشبع فكري وديني، وغالبا ما تكون نسبة إلى الأنبياء والرسل أو الصحابة وهذا الاختيار يعبر عن مدى تمسك الإنسان الجزائري بالدين الإسلامي والتيمن بأصحابها.

رابعا: ضعف الوازع الديني. تكشف لنا الرواية عن ظاهرة لا تقل أهمية عن الظواهر الأخرى، وتتمثل ضعف الوازع الديني الذي اتسمت به جُل شخصيات الرواية، وأكثر من جسد ذلك شخصية "يما مريم"و"داميا"حيث لجأت الأولى للسحر والجريمة من أجل توفير حياة أسهل لأولادها والثانية سيطر عليها اليأس والفشل فقررت الانتحارذلك عندما تعرضت للنصب والاحتيال من الجميع، من رئيستِها في العمل"سيهيلة" و من أستاذتها في الجامعة التي سرقت منها مذكرة التخرج، ومن "شينيت" الذي وضعت فيه كل ثقتهاإلا أنه حاول اغتصابها، كل هذه الأسباب أدت بها إلى الدخول في حالة من الكآبة والانهيار، وقررت فيما بعد الانتحار ويطلق على هذا الانتحار بالانتحار الاكتئابي حيث رُبط «بحالة شاملة من الكرب العميق الذي يؤدي بالمريض إلى فقدان التقدير الصحيح للعلاقات الي تربطه بالناس والأشياء من حوله، فلا يعود يغريه أي من الأفراح والمسرات، فهو يرى الدنيا سوادا حالكا. وتبدو له الحياة باعثة على السأم أو على الألم»[1].

فعندما يسيطر الحزن على الإنسان يبعث فيه حب الموت والفرار من الحياة بحثا عن الراحة والطمأنينة، وهذا لايكون إلافي المجتمعات التي تعاني من ضعف في الإيمان.وهو ظاهرة قديمة قدم الإنسان، حيث انتشر الانتحار في المجتمعات القديمة بغرض التطهير، وأكد ذلك «دراسة "كوتي"و"ويس" عن400 مجتمع بدائي في جميع أنحاء العالم، حيث

[1]– إميل دوركايم، الانتحار، تر: حسن عودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص 34.

بينت الدراسة وأكدت بأن الظاهرة كانت بالفعل موجودة في المجتمعات البدائية وقديمة قدم العنصر البشري وغريقة عراقة الموت، ولعل بداية اعتبار الانتحار إثماوفعلا مستهجنا وشنيعا، كان في القرن الخامس ميلادي عندما هاجم القديس أوغسطين الانتحار. ولقد احتلفت المجتمعات البدائية في طريقة الانتحار وهدفه»[1].

فالغاية من الانتحار في المجتمعات البدائية كانت مرتبطة بمعتقدات دينية تتلخص في التكفير عن الخطيئة أو البحث عن الدرجات العليا من الثواب والمغفرة أو نيل رعايه الآلهة«فالاسكميون يعتقدون بأن الموت بعنف كالانتحار له تأثير مطهر على الميت ويصبح أهلا للدخول إلى الأرض النهائية الواسعة، أما الذين يموتون طبيعيا فإنهم سوف يقطونونالأرض الضيقة»[2]، فالانتحار في المجتمعات القديمة كان مرتبط بالآلهة والسعي لمراضاتها.

أما في المجتمعات الحديثة فقد تغيرت المفاهيم والأسباب المؤدية إلى الانتحار حيث أدى التطور الحاصل في جميع مجالات حياة الإنسان، إلى الاقبال عن الدنيا ونسيان الآخرة والابتعاد عن الدين فالإنسان لا يستطيع المحافظة على كيانه دون أن يكون هناك وازع ديني يقومه، فالدين عماد الحياة ويوجه الإنسان نحو الطريق الصواب، وقد حرمت الشريعة الإسلامية الانتحار وجعلته من الكبائر والمحرمات، «كانت تريد أن تُشَغل ذلك المنتحر الكافر بدلا عني»[3].فكل من يقدم على الانتحار يوصف بالكافر فهو عارض مشيئة الله عزوجل وقرر قتل نفسه.

---

[1]– عريوة عبد الله، طرق الوقاية والعلاج لظاهرة الانتحار في المجتمع الجزائري من منظور الخدمة الاجتماعية والإسلامية، دراسة ميدانية بمنطقة ولاية المسيلة، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص علن اجتماع ديني، جامعة الجزائر، 2008- 2009، ص 14.

[2]– المرجع نفسه، ص 14.

[3]– الرواية، ص 406.

ومن خلال ماتقدّم توصلنا إلى عدة نتائج من أهمها:

* يعتبر السحر من المعتقدات الدينية الأكثر بدائية.

* حب الإنسان ورغبته في تغيير مصيره، والاطلاع على مستقبله و هذا مايدفعه إلى ممارسة طقوس سحرية.

* مهما تعددت واختلفت الديانات إلا أن موقفها من السحر مشترك وهو الرفض .

* كل المعتقدات المتعلقة بالموت تعبر عن ثقافة وتشبع دينيين.

* وظّفت الروائية رموز دينية، وأعطتها دلالات جديدة.

* أشارت الروائية إلى فكرة تيمن الإنسان الجزائري بكل ماله علاقة بالدين الإسلامي من الأسماء وصولا إلى الممارسات الدينية.

* جسدت مظاهر ضعف الوازع الديني التي يعاني منها الجزائري وتجلى ذلك في السحر والقتل والانتحار.

* أشارت الروائية إلى الانتشار الواسع للرموز الماسونية في الأوساط الجزائرية.

في الختام يعدّ التحليل الأنثروبولوجي للأدب من أبرز الميكانيزمات التي توثّق الوجود الإنساني بأبعاده المختلفة، وعلى القارئ التسلّح بمختلف المعارف الإنسانية للإمساك بممكنات التدليل داخل النصوص الأدبية.

المحاضـــرة رقـــم (14)

التحليـــل البنائـــي الوظيفـــي:

تمهيـــــد:

يعـود أصـل الاتجـاه الـوظيفي البنـائي إلى الـتراث الفكـري اليونـاني المنطـوي علـى رؤيـة الأحداث الاجتماعية بأنّها مكوّنة من أجزاء مترابطة مفصلياً و وظيفياً ، بحيث يكون كلّ جزء مكمّلا للآخر بنائياً وحركياً ووظيفياً لدرجة عدم استطاعة أيّ جزء الاستغناء عن وجود الأجزاء الأخرى عند قيامه بحركته و وظيفته على الرّغم أنّ حركة و وظيفة الكلّ مختلفة عن حركة و وظيفة أجزائه المكوّنة له ،و هذا يعني أنّ الأجزاء تكون متماسكة ارتباطيـــاً و متكاملـــة حركيـــاً ومتكافئـــة وظيفيـــاً و متناغمـــة إيقاعيـــاً .

وقد تمّ استعارة هذا المعنى من قبل العلوم الطبيعية و الفيزيائية و علم الضبط و نظرية المعلومـات و البحـوث الاجرائيـة و نظريـة الأنسـاق الاقتصـادية إذ طبقـت علـى النسـق الالكتروني والشمسي (في الكون) والعصبي (في جسم الانسان).

ومن أهم الأسئلة التي تطرح في هذه المحاضرة ونحاول الإجابة عنها تباعا مايلي:

ماهو مفهوم البنائية الوظيفي وأبرز المفاهيم المقترنة بها؟

أولا:ماهيـــة البنائيـــة الوظيفيـــة.

1- مفهـــــــــــــــوم البنائيـــــــــــــــة الوظيفيـــــــــــــــة:

هي كلّ المناظير البحثية التي يتمحور اهتمامها في شكل أو بناء أي وحدة، أو يكون محور الاهتمام هو الوظائف التي تؤديها الوحدة في إطار البناء العام للوحدات أو البناء الكلي، والبنائية الوظيفية تركز على الوظائف والأدوار التي تقوم بها الوحدات المكونة للكلّ، فمثلا إذا أردنا تطبيق مصطلح البناء على المجتمع فإننا نقول البناء الإجتماعي

والمراد به مجموعة العلاقات الإجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الإجتماعية،أما الوظيفة فالمقصود بها الدور الذي يسهم به الجزء في الكل[1]."

يعرفها البعض بأنّها :"رؤية سوسيولوجية تهدف إلى تحليل ودراسة بنى المجتمع من ناحية والوظائف التي تقوم بها هذه البنى من ناحية أخرى"[2].

2-أهـــــم المفـــــاهيمم المتداولـــــة فـــــي البنائيـــــة الوظيفيـــــة :

بمعنى مجموعة المفهومات التي يتردد استخدامها في إطار البنائية الوظيفية ، و على الرغم من أنّ مفهوما البناء و الوظيفة باعتبارهما مفهومين رئيسين في هذا الإطار، و قد دخلا على يد "كومت و سبنسر" إلا أنّ البنائية الوظيفية شهدت نمو إطاراً تصورياً يضم مفهومات مثل النسق والنظام و الدور والقيم و المعايير و غيرها ترتبط بمفهوم البناء هذا من ناحية و من ناحية أخرى كما شهدت ظهور مفهومات مثل الوظيفة الظاهرة و الوظيفة الكامنة ،والبدائل الوظيفية و المعوقات الوظيفية ،و غيرها ، ترتبط بمفهوم الوظيفة و قد أضيفت هذه المفهومات على يد علماء مثل ما لينوفسكي و راد كليف براون و بارسونز و ميرتون و ماريون ليفي وغيرهم

- **المجتمع**:يتصور الإتجاه البنائي الوظيفي أنّ المجتمع نسق من الأفعال المحدّدة المنظمة، ويتألف هذا النسق من مجموعة من المتغيرات أو الأبعاد المترابطة بنائيا والمتساندة وظيفيا.[3]

- **التوازن الإجتماعي**: وهدفه مساعدة المجتمع على أداء وظائفه وبقائه واستمراره، ويتحقّق بالانسجام بين مكونات البناء والتكامل بين الوظائف الأساسية، يحيطها جميعا

[1] علي الحوات، النظرية الاجتماعية (اتجاهات أساسية)، منشورات الجا، ص96.

[2] أكرم حجازي، الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية والمعاصرة،

[3] علي الحوات/ مرجع سابق،ص98.

برباط من القيم والأفكار التي يرسمها المجتمع لأفراده وجماعاته.[1]

*__النسق الإجتماعي__:هو عبارة عن العلاقات المترابطة والمتساندة بين الأفراد والذي يتميز بخصائص أهمها[2]:

1-__التحديد__: أي إمكانية تحديد العناصر الداخلة والمكونة للنسق.

__2-الترابط__: أي جميع عناصر النسق الإجتماعي مترابطة بعضها ببعض، إذ كل جزء له صلة بالأجزاء الأخرى ويعتمد عليها.

__3- التباين__: بمعنى أنّ النسق الإجتماعي هو نسق متوازن أو يتجه باستمرار نحو التوازن.

__4- الوظيفة الإجتماعية__:هي نتيجة موضوعية لظاهرة اجتماعية يلمسها الأفراد والجماعات، كما أنها الطريقة التي يعمل بها المجتمع ويستمر في بقائه.[3]

__5- البناء الإجتماعي__:يستخدم للإشارة إلى نوع من الترتيب بين مجموعة نظم يعتمد بعضها على بعض، وتعتبر وحدات البناء الإجتماعي هي ذاتها بناءات فرعية، والإفتراض الأساسي هنا هو التكامل أو بقاء الكل يتوقف على العلاقات بين الأجزاء وأدائها لوظائفها[4]

__3-المبادئ التي ترتكز عليها النظرية النيوية الوظيفية__:تتكئ هذه النظرية على المبادئ الآتية ذكرها:

- يتكون المجتمع أو الجماعة من أجزاء ووحدات مختلفة بعضها عن بعض وعلى الرّغم من ذلك فإنها مترابطة ومتعاضدة وحداتها مع الأخرى.

---

[1] علي غربي:علم الإجتماع والثنائيات النظرية(التقليدية-المحدثة)،جامعة منتوري،قسنطينة،،2007.ص85

[2] المرجع السابق،ص86.

[3] المرجع نفسه، ص87.

[4] فاروق مداس:قاموس مصطلحات علم الإجتماع،دار مدني،2003،ص50

• يمكن تحليل هذا المجتمع أو الجماعة تحليلا بنيويا وظيفيا إلى أجزاء وعناصر أولية، أي أنه أو أنها تتكون من عناصر لكل منها وظائفها الأساسية.

•كلّ تغيير يطرأ على أحد هذه العناصر أو الأجزاء لابد أن ينعكس على بقية الأجزاء وبالتالي يحدث مايسمى بعملية التغيير الاجتماعي.

• تصطبغ هذه الأجزاء بالتكامل بينها، فمثلا وظيفة الأستاذ لايمكن أن تتم ذون طلبة والعكس،لذا فأوكسجسن الاختلاف في المراكز هو شيء وظيفي للتماسك والتكافل الاجتماعي في المؤسسة التربوية أو التعليمية.

• تتنوع الحاجات التي تشبعها المؤسسات بين المادية والروحية.

• قد تكون الوظائف التي تؤديها المؤسسة أو الجماعة ظاهرة أو كامنة أو وظائف بناءة أو وظائف هدامة.

• تخضع البنى الهيكلية للمجتمع أو المؤسسة إلى نظام قيمي أو معياري،فالنظام القيمي هو الذي يقسمى العمل على الأفراد ويحدد واجبات كل فرد وحقوقه،كما يحدد اتصاله وتفاعله مع الآخرين.إضافة إلى تحديده لماهية الأفعال التي يكافأ عليها الفرد أو يعاقب.

• تعتقد النظرية البنيوية بنظام اتصال أو علاقات انسانية تمرر عن طريقه المعلومات من المراكز القيادية إلى المراكز القاعدية.

4–الانتقـــادات التـــي وجهـــت للاتجـــاه البنائـــي الوظيفـــي:

• انصب الاهتمام على الجوانب القارة من النسق أكثر من التركيز على الأبعاد الدينامية المتغيرة.كاستبعاد فكرة التغير الاجتماعي وخاصة الجذري والشامل، الذي يتمّ بفعل عوامل من خارج النّسق الاجتماعي.

• يؤخذ عليه أنه أحادي النظرة ، بمعنى أنه يبحث في النسق الاجتماعيالا أبعاد التوازن والوظائف وتحقيق الأهداف،فلايولي عناية بأبعاد التغيير والاضطرابات والأمراض والمشكلات الاجتماعية.

المغالاة في محاكاة نموذج العلوم الطبيعية، وخاصة نموذج علوم الحياة،وكأن النسق الاجتماعي كائن عضوي خاضع لنفس النواميسالتي تحكمحركة الكائنات الحية.

•لايطرح تساؤلات حول غاية الفعل الاجتماعي، فهو يهتم بنتائج الفعل واستمراره دون الرجوع إلى مضامينه وغاياته البعيدة.

الخاتمـــة.

على الرّغم من الهنات التي سقطت فيها هذه النظرية، إلى أنها قدّمت بفضل جهود أعلامها (هربرت سبنسر وتالكوت بارسونز وروبرت ميرتون وهانز كيرت ووسي رايت ملز) الكثير من الإضافات التي لايمكن إحصائها جميعا – لضيق الوقت- وكانت تسعى إلى تطوير أدواتها لتتوائم ودراسة مختلف الترابطات الاجتماعية، والتفاعل بين السمات والجماعات والنظم داخل النسق الاجتماعي الكبير الذي يكتنف الانساق الفرعية، أما المنحى الآخر فقد كانت هذه النظرية استجابة لدعاوي إيديولوجية وسياسية إذ أرادت أن تناهض علم الاجتماع الماركسي وتضرب الطرق والعزلة الفكرية والسياسية على السياق التاريخي المادي الذي نشأ وترعرع فيه.

الخاتمـــــة:

إنّ التنظير عمليـة بنائيـة منهجيـة إبسـتمولوجية تجريديـة، تتعلـق بتتـويج الدراسـات العلمية الأكاديمية، كجهود أولية رامية لتأسيس علم من العلوم المتخصّصة، واستكمال بنائه، بإنتاج جهاز مفاهيمي بوصفه نسقا أو أنساقا معرفية/ مفسّرة لكلّ الظّواهر الكلّية والجزئيـة في حقـل معـرفي محـدّد.وعلم الأنثروبولوجيـا إن هـو إلّا حقـل معـرفي تـاريخي نشـأ وتكوّن عبر جهود أدبية وعلمية في مراحل متعددة ومتعاقبة تحكمها ظروف الباحثين من جهة، ومن جهة أخرى يحكمه في ذلك التطور العلمي بصفة خاصة.

فالبحث الأنثروبولوجي لم يكن بمعزل تماما عن الاستناد إلى علوم متاخمة، كعلم النفس وعلـم الاجتمـاع والبيولوجيـا وفلسـفات ممّـا أسـفر عـن تكـوّن اتجاهـات لا يسـتبعد مؤرخـو العلوم أثر تلك الخطابات والنماذج التفسيرية المستعارة في بلورتها كاتجاهات أنثروبولوجية عامـــــــــة.

تتضـمن الأنثروبولوجيـا اليـوم البعض مـن منـاظير البحـث في التطـور وآفاقـه، فهـذه " المناظير– الآفاق" أسهمت في إفهامنا ماحصل من تغيّر أساسي في عالمنا،ذلك أنّ تطوّر الحيـاة، وصـيرورة الإنسـان إنسـانا لايمثلان إلّا صـفيحة صـغيرة مـن تكـوّن العـالم ككـل، ولايزال التّطور يمدّنا بـالكثير من المسـائل التي مـانزال بعيـدين كثيرا عـن معرفـة أجوبتهـا، ولهذا السبب بالذّات يعدّ ضـمّ مسألة التّطور إلى مسألة فهـم الإنسان لذاته أمرا ذا أهمية مركزية، فعلم الأحياء والكيمياء والفيزياء كلّ هذه العلوم بيّنت أنّ الكون وكذلك الأرض والحياة ليست بذات وجود ثابت بل هي كائنات صائرة.

لايمكن لنا أن نسدل الستار على هذا العلم بهذه السهولة ، فموضوعه (الإنسان) هذا الكـائن الحـي يملك الكثير من المتضـمنات التي قـد لايفقههـا الإنسـان في حـدّ ذاتـه، وإن كانت الكثير من المحاولات قد سلطت الضوء عليه ، فلايعني ذلك أنه تمّ سبر غور هذا

الكيان بكلّ مافيه من تناقضات وأسرار ، وإنما قد تفصح الحياة عن وجود أعماق كبيرة أيضا تختبئ بـــــــه.

ولاأدّعـــي في هـــذا المنجـــز العلمـــي ومايضـــم بـــين دفتيـــه أنّـــني اســـتوعبت المشـــروع الأنثروبولـوجي في مقاربـة الشّـأن الإنسـاني، فـدون ذلـك خـرط القتـاد كمـا يقـال، بقـدر ماأدّعي أنني كنت حريصة على ملامسة المواضيع المقرّرة في البرنامج المعتمد،

في النهايـة، وبـالنظر إلى أهميـة المـادة الدّسمـة الـتي يقـدّمها هـذا المسـتند يمكـن للـدّارس اعتمادها كعتبة للولوج إلى عتبات أخرى لمكاشفة ماهية الإنسان.

قـائمـــــة المصـــــادر والمراجـــــــع

المصحف الشريف بقراءة ورش عن الإمام نافع.

❖ قائمـــة المصـــادر والمراجـــع:

❖ المراجـــع بالعربيـــــــــة:

1. أمل بوشارب سكرات نجمة ، منشورات الشهاب، الجزائر، د.ط، 2015.

2. إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر،(د.ط)، 1970.

3. بلقاسم فرحاتي: تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان، قراءة في علوم الإنسان الحديثة ومقدّمات البديل، مؤسسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،ط1، 2016.

4. ثريا نصر، تاريخ أزياء الشعوب، عالم الكتب، مصر، د.ط، 1998.

5. جعفر آل ياسين ، الفرابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

6. حسن ظاظا، اللسان والإنسان المدخل إلى معرفة اللغة، مكتبة الدراسات اللغوية، دار القلم، دمشق ، سوريا، ط2، 1990.

7. حسين فهيمن قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني بثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1978.

8. عبد الحكيم خليل سيد أحمد،دراسات في المعتقدات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، مصر،ط2013،1.

9. خالد الحبشي، الحسد والعيون، جدة، المملكة العربية السعودية،د.ط، د.ت.

10. خوجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، د.ط،2014-2015.

11.عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي،رحلة ابن خلدون،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1،2004.

12.عبد الرّزاق بلعقرور، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر, أسئلة المفهوم والمعنى والتّواصل، الدّار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2009.

13.الزّهرة إبراهيم،الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثّقافية ،وجوه الجسد للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا،ط1، 2009.

14.عبد السلام البيوني،الغزو الخفي،من الرموز الدينية المخالفة لعقيدة المسلمين،وقيمهم،د.ط، د.ت.

15.شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح.عبد الوهاب الثازي،مج2،الرباط، المملكة المغربية،1993.

16.عزّت جاد، نظرية المصطلح النّقدي، دار الكتاب الحديث، القاهرة،مصر، ط2،2015.

17.عمر سليمان الأشقر،عالم السحر والشعودة،دار النفائس للنشر والتوزيع،عمان، الأردن،ط4،2005.

18.علي مولاي، دراسة الأنثروبولوجيا، المفهوم والتاريخ ، تحقيق كاظم سعد الدين،بيت الحمة، بغداد، العراق،ط1،2010.

19.علي غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية (التقليدية المحدثة)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.

20.علي الحوات، النظرية الاجتماعية، اتجاهات أساسية ، منشورات GLGA" فاليتا"، مالطا،د.ط،1998.

21.عيسى الشماس،مدخل إلى علم الإنسان،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1،2004.

22.عبد العزيز بن باز وآخرون،فتاوى أحكام العقيقة،دار الإلاص والصواب،وهران، الجزائر،ط1،2014.

23.العربي بلقاسم فرحاتي: تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان، قراءة في علوم الإنسان الحديثة ومقدّمات البديل، مؤسسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع،ط1، 2016.

24.غازي السعدي،الأعياد والمناسباتوالطقوس لدى اليهود،دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية،عمان، الأردن،ط1،د.ت.

25.عبد الغفار حامد هلال، اللهجات ، النشأة والتطور، جامعة الأزهر،مصر، ط1،(د.ت).

26.فتيحة إبراهيم: مصطفى حمدي الشنواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، الأنثروبولوجيا ، الرّياض، 1988.

27.فيصل الدرّاج، الماركسي والدّين، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان،ط1، 1978.

28.فراس السواح، الأسطورة والمعنى،دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية،منشورات دار علاء،دمشق، سوريا،ط1،1979.

29.فوزي سعد الله،يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر،ط2،2004.

30.أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار،ج1،دار الكتب المصرية،ط2013،1.

31.فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003.

32.فرانس فانون،سوسيولوجيا الثورة،دار الطليعة،بيروت،لبنان،ط1970،1.

33.محمد عبده، الاتّجاه السوسيو، أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكزيت،1986.

34.محمد رياض: الإنسان،دراسة في النّوع والحضارة، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان،ط1، 1974.

35.محمد الجوهري، علياء شكري، مقدّمة في دراسة الأنثروبولوجيا، الدّار الدّولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

36.محمد الجوهري، علياء شكري،مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية،القاهرة، مصر،ط2008،1.

37.مهدي محمد القصاص،علم الاجتماع العائلي،المنصورة،مصر،د.ط،2008.

38.مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية،مصر،ط2005،1.

39.أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، حقيقة الماسونية،دار المنهج للنشر والتوزيع،قالمة، الجزائر،ط2014،1.

40.وليد نصيف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، دمشق،سوريا،ط1979،1.

المراجـــع المترجمـــــة:

1. إيميل دوركايم، الانتحار، تر. حسن عودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا،ط1،2011.

2.بيرتي .ج.بيلتو.دراسة الأنثروبولوجيا، المفهوم والتاريخ، تر كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغداد، العراق،ط1،2010.

3-,توماس هايلاند إيريكسون وفين سفرت نيلسون،تاريخ النظرية الأنثروبولوجيا،ت لاهاي عبد الحسين،منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1،2013.

4-.توماس هايلاند إريكسون ،العرقية والقومية، وجهات نظر أنثروبولوجية، تلاهاي عبد الحسين،عالم المعرفة، ع393،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت.2012.

5. جاك لومبار ، مدل إلى الاثنولوجيا، ت،حسين قبيسي،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط1،1997.

6. دوغلاس .ج.ديفيس، الوجيز في تاريخ الموت، ترزمحمد منقد الهاشمي، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، سوريا،(د.ط)،2014.

7. سيغموند فرويد: مستقبل وهم، تر. جورج طرابيشي، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1974.

8. شتراوس كلود ليفي: الأنثروبولوجيا البنيوية، تر. مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا،(د.ط)، 1977.

9. فيورباخ : أصل الدين،تر. أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

10- فرون. جزيل: التّصوير الفوتوغرافي في المجتمع، تر. وسام مهنا، مراجعة محمد سيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (د.ط)،2010.

11-فيكتور مارسدن، بروتوكولات حكماء صهيون، تر عباس محمود العقاد،دار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر،د.ط،د.ت.

12- فيليب بيرنج،الرموز في الأديان، الفن، الجياة،تر.عبد الهادي عباس،دار دمشق، دمشق، سوريا،ط1992،1.

13- كرس هان، كييف هارت: الأنثروبولوجيا الاقتصادية، التاريخ والإثنوغرافيا والنقد، ت. عبد الله فاضل، المركز العربي للأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

14- مارك أوجيه،وجان بوكولاين،الأنثروبولوجيا،تر جورج كنوزة،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط2008،1.

15- ميشيل توماسيللو، الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، ترشوقي جلال،هيئة أبو ظبي للثقافات والتراث،المجمع الثقافي ،أبو ظبي،الإمارات العربية المتحدة،(د.ت)،2006.

16- هرسكوفيتر، ملفيل: أسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية، تر رياح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا،(د.ط)، 1974.

17- هيوغ أنكن:دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، تر. محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،(د.ط)، (د.ت).

المعاجـــــــم:

1- أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان، بيروت،1977.

2- إيكه. هولتكرانس،قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلكلور، تر. محمد الجوهري، حسن الشامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1972.

3- جان فرانسوا دورتيه: معجم العلوم الإنسانية ،تر، جورج كنزة، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009.

4– رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لاسماء الملابس،دار الآفاق العربية، القاهرة،مصر، ط2002،1.

5- فريديريك معشوق: معجم العلوم الاجتماعية، انجليزي، فرنسين عربي، أكاديميا بط.

المجـــلات:

1- أكرم حجازي،الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية والمعاصرة،مجلة العلوم الإنسانية،ط2005،1.

2– توماس هايلان إريكسون: العرقية والقومية، وجهات نظر أنثروبولوجية، ت. لاهاي عبد الحسين، عالم المعرفة، ع393، 2012، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

3– أبوزيد حامد، الطريق إلى المعرفة، مجلة العربي، الكويت،2001.

4– زيدان عقبة: الملحق الثّقافي لجريدة الثورة:.thawra.alwehak.gov.sy:: /http

5– سعيد الحسن عبدولي،ميكروسوسيولوجيا الجريمة من علال الممارسات السحرية والشعودة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، جامعة الوادي، الجزائر، ع2010،5.

6– علي القيم،ملامحمن الزغرودة في التراث الشعبي السوري،مجلة باحثون،دمشق، سوريا،2011.

7– منير بهادي: مفهوم الخصوصية الثقافية في الخطاب الأنثروبولوجي المعاصر، مجلة أنثروبولوجيا، وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟

الرسائـــل الجامعيـــة:

1- عريوة عبد الله،طرق الوقاية والعلاج لظاهرة الانتحار في المجتمع الجزائري من منظور الذمة الاجتماعية والإسلامية، دراسة ميدانية لمنطقة ولاية المسيلة،رسالة لنيل مذكرة الماجستير،علم الاجتماع، جامعة الجزائر،2008-2009.

2- منصور مختار، الإعلام الرسمي والإعلام عير الرسمي، الكتابة على الجدران أنموذجا، رسالة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2003.

الكتـــب بالأجنبيـــة:

1- Durand, Introduction à la méthodologiee, Tunis, Ceres, 1996.

2-Reichler, claude, La littérature comme interpréation symbolique (in) L'interprétation des textes (collectif), paris, Ed, De Minuit, 1989.

3-Pageaux, Daniel-Henri.Littérature générale et comparée, paris, Amand Collin-1994.

المواقـــع الإلكترونيـــة:

***1**-https://mawdoo 3.com*

فهـــرس المحتويـــات

مقدّمة	05-09
1- مفهوم الأنثروبولوجيا.	06-17
2- نشأة الأنثروبولوجيا.	18-38
3- أقسام الأنثروبولوجيا (الأنثروبولوجيا الطبيعية).	39-43
4- الأنثروبولوجيا الثّقافية والاجتماعية .	44-55
5 -الانثروبولوجيا الدينية .	56-62
6- الأنثروبولوجيا الإقتصادية.	63-66
7 - الأنثروبولوجيا السياسية.	67-69
8- الأنثروبولوجيا اللغوية.	70-75
9- علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم، علاقتها بعلم الاجتماع ، وعلم النفس، والآثار.	76-80
10- علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب.	81-84
11- أنواع التحليل الأنثروبولوجي للأدب.	85-89
12- تجليات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في "سكرات نجمة" لأمل بوشارب	90-107
13- تجليات الأنثروبولوجيا الدّينية في الرواية.	108-131
14-التحليل الوظيفي البنائي.	132-136
الخاتمـــــــــــــــة	137-138
قائمة المصادر والمراجع	139-145